الفروسية الشعرية

عند

عبد الله باشراحيل

الفروسية الشعرية عند عبد الله باشراحيل/ دراسة
عبد الله بنصر العلوي / مؤلّف من المغرب
الطبعة الأولى، ٢٠٠٤
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب : ٥٤٦٠ ـ ١١ ، العنوان البرقي :موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس :٠١ ٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali@nets.com.jo

الإشراف الفني:
رشاد برس / بيروت ، لبنان

تصميم الغلاف:
أحمد حمود / بيروت ، لبنان

الصفّ الضوئيّ والتنفيذ الطباعيّ:
رشاد برس / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-36-062-6

الدكتور عبد الله بنصر العلوي

الفروسية الشعرية عند عبد الله باشراحيل

الإهداء

إلى فقيد البحث والمعرفة العلامة الدكتور

عبد الله الطيب الذي أضاف إلى الشعرية

العربية مقوماً جديداً أسماه بطولة الشاعر

أو بطولة الشعر طيب الله ثراه.

د. عبد الله بنصر العلوي

المقدمة

يا صاحبي وركاب البين سائرة
سيكتب الدهر أبياتي ويرويها
فالنبل لا تحجب الأستار جوهره
والشمس ما من يد للناس تخفيها[1]

❀ ❀ ❀

ولتملأ الكاس نسقي من مشاربها
شعرا يتيه بأوزان وأفكار[2]

❀ ❀ ❀

كثير من مديح الشعر ليس للاستجداء بل للاستعلاء[3]

❀ ❀ ❀

---

(1) ديوان النبع الظامئ، عبد الله باشراحيل، ضمن الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003، ص: 1/ 286.

(2) ديوان الخوف، عبد الله باشراحيل، ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 424 .

(3) توقيعات، عبد الله محمد باشراحيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002، ص 75.

نمزج في ضياء الفجر

نور الشعر

ونجني من تراب الفكر

بعض التبر

نهاديكم ورود الشرق

نحييكم بوجه طلق

وندعوكم لقول الحق[1]

❀ ❀ ❀

هذه درر في الإبداع والنقد للشاعر عبد الله محمد صالح باشراحيل، استوعبها وولَّد منها متونا من القول وأنماطا من الإحساس، فكان الشعر لديه فضاءً للموهبة والأداة وللنغم والجمال وللصدق والقداسة .. وهي فضاءات استمدت أصولها من الفطرة والثقافة، وتفتقت منابعها من المعاناة والتجربة، وتدفقت معطياتها من الممارسة والخبرة، وأتاحت شاعرية نامية ومعاني رقيقة وصورا رائعة وتنوعا جماليا .. وقد أتيح لي أن أستلهم من شعره بعض ما كنت آمله من الشعر الرصين من قوة العاطفة وبلاغة الصورة وتأمل الكون ... وهي بعض ما استجليته من

(1) قلائد الشمس إلى مثقفي أمريكا، عبد الله محمد باشراحيل، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2002، ص 7 ـ 8.

أشعار عبد الله باشراحيل التي كان هاجسه فيها الإحساس الجياش بالفروسية الشعرية لا بحكم الاندفاع، ولكن بالحرص على سداد الرؤية

وشاغله فيها حكمة المقاصد النبيلة التي تحقق فروسية شعرية فارسها شاعر ناقد، وبطلها ناقد شاعر، التحمت في رؤاه الأنا بالنحن والتاريخ بالمكان. وتآلفت فيه معطيات مبدع وخبرة ناقد. لذلك كانت هذه الدراسة هادفة إلى لفت نظر النقاد إلى الغوص في القصيدة العربية في ضوء تحليل إشارات الشاعر عن شعره وشاعريته مما سيفعِّل من شأن الشعرية العربية إبداعا وتنظيرا، ويجلي قوة حوافزها ونماء مكوناتها وسعة جماليتها .

ولإنجاز هذه الدراسة في أشعار عبد الله باشراحيل نتوسل بمنهج الاستقراء الذي يبحث عن سبل توظيف الأدوات النقدية في أشعاره ودراسة أبعادها الفنية في ضوء التكامل بين اللفظ والمعنى أو النقد والإبداع بكل مظاهرهما الجدلية بحثا عن «نظرية شعرية»[1] متميزة بثابتها ومتحولها.

ومن ثم فبين متن الفروسية الشعرية والاستشهاد بنصوص الشاعر يتكون نسيج دلالي نقدي يتسم بالتوحد والانسجام ويتمثل التداخل والتكامل .

---

(1) لا نقصد بالنظرية حدود الرؤية المنهجية مما له صلة بالمنطق وبالمقاييس وإنما نقصد بالنظرية مجمل الأفكار والمقاصد التي دارت حول مفهوم الشعر ومفاهيمه لدى الفلاسفة والنقاد والشعراء مما يكوِّن نسيجا معرفيا .

وسيتم إنجاز هذه الدراسة من خلال المباحث الآتية :

المدخل: المصطلحات ومفاهيمها اللغوية والنقدية

أولا: سبل نظرية الشعر في الفروسية الشعرية.

ثانيا: مشروعية البحث في الفروسية الشعرية

ثالثا: فروسية الفن الشعري

رابعا: فروسية القيم الشعرية

خامسا: فروسية التواصل الشعري.

سادسا: فروسية الذاكرة الشعرية.

وفي إنجاز هذه الدراسة أشعر بسعادة تغمرني وأنا أغوص في عالم عبد الله باشراحيل الذي حقق لي متعة التأمل وشعرية التواصل. نأمل من الله تعالى سداد الرأي. وبالله التوفيق .

فاس في: 27 جمادى الأولى 1424 موافق 26 يوليو 2003

الدكتور عبد الله بنصر العلوي

المدخـــل

المصطلحات ومفاهيمها اللغوية والنقدية

١ ـ مفاهيم المصطلحات

إذا كانت هذه الدراسة تنحو في جعل العمل الإبداعي يحمل توجها نقديا، فإن محاولة تحديد المصطلحات / المفاهيم إجراء منهجي يحقق موضوعية البحث، وفي سياقها النقدي نستجلي الأسس الفاعلة في العمل الشعري بالقدر الذي رامه النقاد القدماء واستشرفته هذه الدراسة. والمصطلحات الفاعلة في هذا السياق هي: الفحولة والبطولة والفروسية .

أ ـ الفحولة:

وتؤول دلالتها اللغوية إلى القوة والغلبة، ومنها استمد النقاد الدلالة الاصطلاحية ((ففحول الشعراء هم المغلَّبون في الهجاء، على من هاجاهم، وكذلك من عارض شاعرا فغلب عليه))[1].

وقد شاع هذا المصطلح في الكتب النقدية العربية، ولعل أول من استعمله الأصمعي في كتاب فحولة الشعراء، والشعراء

---

(1) المصطلح النقدي في نقد الشعر، إدريس الناقوري، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1982، ص: 282.

عنده فئتان: فحول وغير فحول ويقصد بالفحل الذي ((له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق)) ومقياس الفحولة عنده ((جودة السبك وبراعة المعنى ووفرة الشعر معا))[1]. ومن ثم كانت الفحولة ((صفة عزيزة تعني التفرد الذي يتطلب غلبة صفة الشعر على كل صفات أخرى في المرء... وأن غلبة صفة الشعر تستدعي عددا معينا من القصائد..)) [2]

ب ـ البطولة:

البطولة في اللغة تعني الشجاعة، يقال رجل بطل بيّن البطالة والبطولة، أي شجاع تبطل جراحه فلا يكترث لها ولا تبطل نجادته، وقيل سمي بطلا لأنه يبطل العظائم بسيفه فيبهرجها، وقيل سمي بطلا لأن الأشداء يبطلون عنده. كما تعني البطولة الغلبة على الأقران[3]. والبطولة في الاصطلاح تعني تميز شخصية ما وتفردها عن غيرها بالقوة والبسالة والإقدام والجرأة.

وقد رام الأدب العربي ظاهرة تمجيد البطولة لتجسيد خصال الممدوح في حربه و في سلمه، وإحساسِ الشاعر بهذه البطولة في وجدانه و في تعبيره. وبذلك ظل كلا الممدوح والشاعر سبيلا إلى إحساس الذات العربية الصادق المعبر عن

---

(1) نقلا من ن.م.ص: 283.

(2) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ،ط2، 1978، ص :52 ـ 53

(3) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ص 11 / 56.

أثرى ينابيع العطاء التي أخصبت الشعر العربي.

وإذا كان القدماء من النقاد لم يستعملوا مصطلح البطولة في كتبهم النقدية باعتباره من مقومات الجودة الفنية في القصيدة العربية، فإن المعاصرين من الأدباء والنقاد أبرزوه في دراساتهم النقدية حاملا منحى دلاليا ومكوِّنا موضوعاتيا اتخذ في الشعر العربي عدة روافد و مجالات، منها الحربي والنفسي والخلقي والروحي [1].

ج ـ الفروسية:

أصل الفروسية من فرس يفرُس إذا صار فارسا، والفارس صاحب الفرس، وجمعه فرسان وفوارس، يقال فارس أي بيِّن الفروسة والفراسة والفروسية، كما تطلق على العلم بالأمر والتثبت فيه والنظر إليه وفيه، والحذق بأمر الخيل، والفارس بالأمر البصير والعارف والمتأمل... والفروسية والفراسة العلم بركوب الخيل وركضها [2].

ومن ثم، فالفروسية تعني حالة الفارس وهو يُحكم الفرس في جموحه، حيث تبرز قوة بصيرته في الإحكام بشكيمة فرسه. وفي ذلك قوام شخصية تجمع بين العلم بأمر الخيل وسلوك واع

---

(1) راجع: البطولة في الشعر العربي، شوقي ضيف، سلسلة إقرأ، دار المعارف، مصر

(2) لسان العرب، 6/ 159 ـ 160 .

بمسؤولية الركض أو العدو أو الخبب. وفي ذلك أيضا قوة شخصية تجمع بين نظر العالم وتأمل العارف. ومرجع ذلك إلى تميز الشخصية وتفردها وبروزها مما يشهد لها بالتفوق في إظهار الشجاعة في حرب أو صيد أو نحوهما. وبين الفرس والفارس علاقة حميمية في الثقافة العربية تجمع بين صفاتهما أخلاق الفروسية مما يشكل سلوكا بدويا وحضريا يتسم بالشجاعة والكرم والحلم والعفة وعزة النفس وتقدير النساء ورفع الظلم، والوفاء بالوعد وحماية الجار ... وغيرها من الأخلاق السامية التي تربط السيادة بالفروسية، وهو ارتباط شديد ((بالقيم التي تضفيها صفة الفروسية على السيد، فالفارس عربي حر له مكانته في القبيلة، بل له المكانة الأولى والمفضلة فيها))[1].

ويمكن أن نستجلي دلالة الفروسية في مكونين اثنين متلازمين:

أ ـ مكوِّن البداوة باعتباره يحمل قيم الوجدان التي تجسد سلوكا اجتماعيا ونفسيا.

ب ـ مكوِّن الإبداع باعتباره خطابا فنيا يجعل من الشعر المعبر عن الفضائل والقيم التي تحدِّد سلوك الفرد والجماعة.

وفي المكونين حضور فاعل للبيئة وطبيعتها، وللمكان

---

(1) الفروسية العربية في العصر الجاهلي، سيد حنفي، سلسلة إقرأ، (211) دار المعارف، مصر، 1960، ص: 60.

وجمالياته، حيث إن الصحراء بما تمثلته من صفاء ونقاء، كانت فضاءً لمشاعر الحب والشاعرية، وهما قواما الوجدان السامي المتفاعل مع الفروسية .

ونرى في هذه الدلالات منحى نقديا جديدا يبرز فروسية الشاعر - باعتبارها قوة فاعلة في الإبداع - وهي تتخذ في القصيدة مكونا فنيا ومعادلا جماليا يرسخ قدرة الشاعر وهو يروم في تعدد دلالات وحدة تجمع بين كل المشاعر والأحاسيس في منظومة لا تتعلق بالآخر فحسب، بقدر ما تتعلق بالذات في وجدانها وإبداعها.

٢ ـ الرؤية النقدية للفروسية الشعرية

وإذا كانت الفحولة تتخذ منطلقها من أحكام الناقد وشروطه، وإذا كانت البطولة تتخذ منطلقها من الذات في إحساسها الفردي وأناها البارز، فإن الفروسية تحدد منطلقها من خلال حالها الحضارية في البيئة العربية وإبداعاتها لا من الذات الشاعرة فحسب، ولكنها تجعل من القدرات الشعرية/ الإبداعية قيمة مائزة تُحكم الفرس/ القصيدة، وتسلس النظم /الركض، وتضم الإحساس/ المعاناة. وبذلك تتفاعل بنيات الممارسة المسؤولة/ التجربة الإبداعية. وهنا يتوَّج الأنا/ الشاعر فارسا خبيرا وبصيرا ومتأملا وعارفا، كما تتوَّج الفروسية في القصيدة باعتبارها سلوكا فنيا يوحد بين التجربة والإبداع ويجمع بين المقاصد والبواعث الإبداعية.

وبذلك تكون الفروسية الشعرية أكثر دلالة وأعمق تعبيرا عن تمثل شخصية الشاعر وهي تحرص على معالم الصدق من حيث إنها تجسد:

أ ـ أجدى وسائل الدعوة إلى الخير والفضائل.

ب ـ التشبث بأصول العمل الشعري وما تتطلبه من مقومات أسلوبية وجمالية.

ج ـ الحرص على إحياء النموذج الشعري المتمثل للقيم الفنية العربية.

د ـ السعي إلى امتلاك سلوك فني وممارسة إبداعية يتخذان سبل فهم وظيفة الشعر وتمثّل صناعته وتحقيق تواصلاته.

أولا: سبل نظرية الشعر
في الشعرية العربية

إن نقد الشعر بتفسيره وتحليله وتقويمه مجال حيوي رامته الدراسات الإنسانية واهتمت به اهتماما كبيرا، لكون الشعر من أكثر الأنواع إبداعا وسيرورة ونماءً وتطورا، نظرا لما عرفته الثقافات الإنسانية من ممارسات فنية رسخت سبل القول وفعَّلت فضاءاته ومقوماته، لذا كان البحث عن نظرية للشعر قصد تأصيل بنائه ومقاصده هدفا للفلاسفة والنقاد والشعراء الذين عنوا بالبحث عن رؤية دقيقة للشعر .

أ ـ نظرية الشعر لدى الفلاسفة:

لقد ركز الفلاسفة جهودهم في تحديد مفاهيمهم وتصوراتهم النظرية للشعر وغاياته وأشكاله وطمحوا إلى محاولة استخلاص القوانين الكلية للشعر مطلقا التي تشترك فيها جميع الأمم والشعوب[1]، باعتبار أن الشعر فرع من فروع المنطق، حيث

(1) نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين (من الكندي حتى ابن رشد)، إلفت كمال الروبي، دار التنوير، بيروت، ط. 1، 183، ص: 7.

يحدد بداية مهمة الشعر المعرفية التي تؤهله لها طبيعته الخاصة التي ترتد إلى القوة النفسانية المسؤولة عن إبداعه[1]. ولاستجلاء مقومات نظرية الشعر لدى الفلاسفة راموا تحديد مهمته وما ينبغي أن يلتزم به المبدع من أصول وقوانين قصد إحداث التأثير المطلوب، وتم ذلك من خلال تصورهم للشعر من ثلاث زوايا أساسية:

أولاها: الشعر بوصفه تخيلا.

والثاني: الشعر بوصفه محاكاة.

والثالث: الشعر بوصفه تخييلا .

ثم اهتموا بطبيعة الشعر المعرفية من خلال تصورهم للأداة في الشعر فدرسوا الخصائص النوعية التي تميز الشعر عن النثر، وعالجوا طبيعة الاستخدام اللغوي في الشعر من خلال العلاقة بين لغة الشعر ولغة العلم، كما حاولوا أن يرصدوا مكونات تركيب القصيدة.

ومن ثم فقد رأى الفلاسفة أن عملية الإبداع الشعري تتم خلال مرحلتين:

الأولى تتمثل في ومضات تلقائية غامضة تتم دفعة واحدة.

أما الثانية فهي عملية التنظيم والضبط لهذه الومضات التلقائية بإخضاعها للعقل[2].

---

(1) ن. م، ص: 48.

(2) ن. م. ص: 269.

إن عناية الفلاسفة بالشعر من حيث كونه صادرا عن العقل من أرقى المعارف التي تنزع إلى البرهان واليقين، ولا يعني ذلك أن اقتصارهم على العقل وتحديد سبل تفعيل نظريته يحول دون الوعي بمقاصد الشعر سواء في الإثارة النفسية التي يحدثها في نفس المتلقي أو في القدرة على تعليم الجمهور وتهذيب سلوكه، وقد قادهم مثل هذا الإدراك إلى الوعي من خلال اللذة والمتعة التي يحدثها لتكون هادفة إلى «تحقيق الراحة النفسية للإنسان التي تمكنه من الاستمرار بشكل أفضل حيث يتمكن من إنجاز مهامه في السعي نحو تحقيق وجوده الأفضل»[1].

ويجسد هذا النزوع تكامل اللذة والمنفعة مما يجعل الشعر يعبد السبيل إلى أخلاقية السلوك التي رعتها الثقافة الإسلامية في مختلف فروع المعرفة بما لها من القدرة على التخييل لتحقيق كنه الإبداع، وما لها من القدرة على المحاكاة لتفصيل نبل المواقف.

ب - نظرية الشعر لدى النقاد:

لقد حاول النقاد إدراك حقيقة الشعر واتخاذ موقف متكامل لدى متلقي الشعر بدءا من التذوق وتعلم سبل الفهم والتفسير والتعليل والتحليل والتقييم باعتبارها نهجا متطورا عبر مراحل التاريخ وتعدد الثقافات، ومن ثم كان الإحساس بالتغيير هدفا جسد معالم التحول بين السجية والصنعة وبين الصدق والكذب،

---

(1) ن. م. ص: 272.

وبين الأعراف وسبل العدول، وبين الثابت والمتحول مما خلق تيارات تفاعلت فيما بينها تارة واصطدمت فيما بينها تارة أخرى[1].

وأمام تعدد سبل إقرار نظرية للشعر بين من يذهب نهج القدماء أو نهج المحدثين كانت إثارة الإشكاليات النقدية تتعلق بقضايا اللفظ والمعنى والطبع والصنعة وقواعد الموازنة والمفاضلة والتكامل والتناسب وقضايا السرقات الأدبية وعمود الشعر .. وغيرها، وكلها نحت منحى ثنائيا، كان الغالب فيه التشبث بالموروث ومراودة المحدث، كما كانت الرؤية تتلمس أبعاد العلاقة بين مسؤولية النقد وإمكانيات البلاغة وتجاوزات البديع ..

وإذا كان من الصعب صياغة نظرية واحدة للنقاد العرب، فإن اهتمام ابن قتيبة بالوحدة النفسية عند المتلقي، واهتمام الجاحظ بالصورة الشعرية واهتمام قدامة بن جعفر بحدود الشعر واهتمام الآمدي بالصدق في الشعر واهتمام الحاتمي بذاكرة الشاعر واهتمام المرزوقي بعمود الشعر ... وغيرها من الاهتمامات تشكل نسيجا لواقع حركة نقدية كبيرة حول طبيعة الشعر العربي تفاعلت فيها أنماط متعددة الاتجاهات ويتمثل أبرزها في:

1 ـ الاتجاه العلمي اللغوي وينظر إلى الشعر «باعتباره متنا

---

(1) راجع في الموضوع: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط: 2، 1978، ص: 14.

لغويا يصيب فيه الشاعر بعدم إخلاله بقوانين الكلام إذا سلمت سليقته، وقويت ملكته اللغوية، واكتملت معارفه وعلومه».

2 ـ الاتجاه الذوقي الجمالي وينظر إلى الشعر «باعتباره لغة إبداعية لا تدرك أسرار جمالها بالأقيسة النظرية ومعايير الخطأ والصواب التي وصفها اللغويون والنحاة، ولكن بالذوق الموهوب فقط».

3 ـ الاتجاه الفلسفي المنطقي الذي ينظر إلى الشعر باعتباره أحد أجناس الخطاب الذي يتميز بالمقومات التخييلية التي «تحدث أثرا ينفعل له المتلقي انفعالا نفسانيا نابضا أو باسطا من غير روية ولا فكر ولا اختيار».

4 ـ الاتجاه الفكري الأخلاقي الذي ينظر إلى الشعر باعتباره المعيار الذي يجب أن يقاس به كلام الشعراء، فالعفة في النسيب والمروءة في المديح وترسيخ قيم الكرم والشجاعة والنجدة والحلم والأمانة في النفوس فضائل في التمسك بعروبة الشعر .

5 ـ الاتجاه الحداثي الذي ينظر إلى الشعر من خلال جملة من الأدوات الفاعلة في عدول القول الشعري نظما ونثرا .

وهذه الاتجاهات وغيرها تعمق أثر النقد العربي في محاولاته لسبر أغوار الشعر في شتى مناحيه شكلا ومعنى.

ج ـ نظرية الشعر لدى الشعراء:

أما الشعراء فراموا إلى استجلاء «نظرية شعرية» من خلال تحقيق الفحولة الشعرية ... ولعل المرحوم عبد الله الطيب دأب في كتاباته النقدية على الإشارة إلى ما أسماه ببطولة الشاعر[1] وهي «عرف ومذهب من مذاهب القول كان يتمكن به أن يشرف على سامعيه من مكان عال فيسحر بالبيان وينطق بالحكمة»[2]. وبذلك كانت البطولة الشعرية «تشرف من علُ واثقة بنفسها معتدة جهيرة الصوت ساحرة البيان واضحة الإفصاح بالرأي القاطع...»[3] ويؤكد عبد الله الطيب على هذا الجانب باعتباره «السبيل إلى استعادة أسلوب الجزالة والمواجهة الجهيرة والإشراف على السامع بالحكمة وسحر الجد في أمر البيان»[4].

وهي إشارات هامة تؤسس منحى نقديا جديدا يبرز المعالم

---

(1) راجع بعض مؤلفاته:
- التماسة عزاء بين الشعراء، الدار السودانية، ط: 1، 1971
- القصيدة المادحة، الخرطوم، 1973
- مكانة أبي تمام في الشعر العربي وشعرائه، مجلة المناهل (المغرب) ع 12، شعبان 1398، يوليو 1978، ص ص: 9 ـ 39
- شاعرية المتنبي، مجلة المناهل (المغرب) ع 13، محرم 1399، دجنبر1978، 21 ـ 67
- مع أبي تمام الناقد، مجلة دراسات أدبية ولسانية (المغرب)، ع.4 ، 1986

(2) شاعرية المتنبي، عبد الله الطيب، مجلة المناهل (المغرب)، ع: 13، السنة الخامسة، محرم 1399، دجنبر 1978، ص: 28 .

(3) ن. م، ص: 34.

(4) ن.م. ص: 35.

الإبداعية للقصيدة العربية[1]، وفي ضوء هذه الإشارات دأبنا في دراساتنا المتعددة [2] على إبراز شخصية الشاعر، وهو يتحدث عن شعره ضمن قصيدته المادحة أو الغزلية أو الواصفة ... ولعل غلبة المدح على القصيدة العربية وورومها التكسب، جعل كثيرا من النقاد يرون أن الغيرية كانت هدفا لمقاصد القصيد باعتبار أن

---

(1) تجلى هذا الاهتمام في عدد من الدراسات، نذكر منها :

- القصيدة عند مهيار الديلمي، محمد الدناي، رسالة الجامعية، كلية الآداب فاس، 1980 (مرقونة).
- نظرية الشعر عند أبي العلاء بين التصور والإنجاز، محمد الدناي، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب فاس، 1999 (مرقونة).
- مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهلين والإسلاميين، قضايا ونماذج، الشاهد البوشيخي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات القلم، باريس، ط 1، 1993.
- المكون الميتاشعري في القصيدة الحديثة بالمغرب، محمد علوط، العلم الثقافي، س: 26، بتاريخ 7 أكتوبر 1995، ص 7 و 10 .

(2) راجع في الموضوع :

- أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1419هـ - 1998م
- الشعرية السعدية: التفاعل بين الواقع والفكر والإبداع، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب فاس.1992 (قيد الطبع)
- البطولة الشعرية في أدب المغاربة، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، س. 2، ع. 5، محرم 1415/ يونيو 1994، ص .ص: 24 - 31.
- البطولة وقيمها الشعرية في عصر المولى إسماعيل، ضمن كتابنا: في الأدبية المغربية، فاس، 2003، ص ص: 69 - 79
- البطولة الشعرية في القصيدة المغربية المعاصرة، ضمن كتابنا: في الأدبية المغربية، فاس، 2003، ص ص: 81 - 131

الغير أو الآخر (الممدوح) يستأثر بالقصيدة التي «صنعها» الشاعر له. ولم يكن الشاعر في هذا السياق إلا صانع كلمات .. غير أن تأمل القصيد يفرز ثنائية خفية تجلي العلاقة بين الآخر والشاعر، وبين الذات والشاعر... وهي ثنائية تعبر عن خصوصية تؤكد أن القصيدة لا تعبر عن بطولة الآخر فحسب ولكنها تعبر بالأساس عن بطولة الشاعر من خلال الوقوف على صنعته ليتأمل بنياتها ويحلل مجالاتها. إن هذا النهج في البطولتين مسلك فني أصيل دأب كبار شعراء العرب على نهجه لما يحققه من إبراز شخصياتهم في قصائدهم إثباتا لشاعريتهم وارتقاءً بفنهم، بقصد تجاوز مكانة الممدوح/ الآخر، ويكاد يشكل هذا السلوك الإبداعي نهجا لازما فرضه كبار شعراء العربية، بل أقرته الشعرية العربية وهي تنحو نحو مراتب التقصيد وارتياد المعايير واستجلاء الحقائق واستكناه المعارف، فزهير وكعب وحسان والأخطل وجرير وأبو تمام وأبو الطيب وغيرهم تمثلوا هذه البطولة الشعرية في مقاصدهم معبرين عن آرائهم في تجاربهم الإبداعية ومواقفهم النقدية .

ويمكن أن نستشهد ببعض الأبيات الشعرية التي تضمنتها بعض قصائدهم التي وردت فيها هذه البطولة الشعرية، فمن قصيدة كعب بن زهير:

فمن للقوافي شأنها من يحوكها

إذا ما توى كعب وفوَّز جرول

كفيتك لا تلقى من الناس واحدا
تنخل منها مثل ما نتنخل
نقول، فلا نعيا بشيء نقوله
ومن قائليها من يسيء ويجمل
نثقّفها حتى تلين متونها
فيقصر عنها كل ما يتمثل [1]

وإشارة الشاعر إلى التثقيف إشارة نقدية إلى بنية القصيدة التي تعتمد نهجا نقديا يقوم على أساس الصناعة والثقافة. وهو سبيل شعري احتذاه الشعراء الجاهليون حرصا منهم على صناعة دقيقة ومعرفة جيدة بالشعر، مما يتيح لهم التميز بين الجيد والرديء:

أذود القوافي عني زيادا
زياد غلام جريء جوادا
فلما كثرن وأعيينه
تخيَّر منهنّ ستا جيادا
فأعزل مرجانها جانبا
وأخذ من درها المستجادا[2]

وهذا ما جعل الشعراء يركزون على سبل صون فنهم الشعري وصون سليقتهم العربية وعيا منهم بضرورة تحقيق شرائطه

(1) ديوان كعب بن زهير، دار صادر، بيروت ص: 47 .

(2) ديوان امرئ القيس، ضبطه مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1403 / 1983، ص: 79 ـ 80.

ومقومات إبداعه:

الشعر صعب وطويل سلّمه
والشعر لا يسطيعه من يظلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمه[1]

ومثل هذا الوعي بصناعة الشعر وشرف معناه كان الرسول ﷺ مدركا لقيمته فقال «إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا»[2]. كما سمع ﷺ الشعر وتمثل مقاصده وأدرك بناءه وأثاب أصحابه. وفي منحه ﷺ لكعب بن زهير بردته إشارة نقدية تنم عن تقديره للشعر وصون مكانته وقبوله لمظاهر التخييل ونبل المقاصد التي تمثل وظيفة الشعر، وهو يرعى العهود والمصالح ويدعو إلى تبني القيم الأخلاقية والتشبث بالسبل النافعة لتربية السلوك .

وقد وجهت مثل هذه الأفكار الغزل إلى عفة النسيب التي صانت القصيدة العربية من الابتذال .

---

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط: 4، 1972، ص: 1/ 116 .

(2) جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد القرشي، المطبعة الريحانية، القاهرة، 1926، ص: 1/ 39.

ويمكن اعتبار شعرية أبي تمام النموذج الذي رعى الشعر باعتباره المعادل الموضوعي والفني للفضائل:

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بغاة الندى من أين تأتى المكارم[1]

ومثل هذا الإقرار حرص على استعادة المجد العربي بأخلاقية السلوك التي كانت إحدى الفضائل الكبرى التي غمرت الشعرية العربية.

ومن قصيدة لأبي تمام:

إن القوافي والمساعي لم تزل
مثل النظام إذا أصاب فريدا
هي جوهرٌ نثر فإن ألَّفته
بالنظم صار قلائدا وعقودا
في كل معترك وكل مقامة
يأخذن منه ذمة وعهودا
فإذا القصائد لم تكن خفراءها
لم ترض منها مشهدا مشهودا
من أجل ذلك كانت العرب الألى
يدعون هذا سؤددا محدودا

---

(1) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، ط3، 1972، ص: 3/ 183.

وتـنـدّ عـنـدهـمُ الـعـلـى إلا عُـلَـى
جـعـلـت لـهـا مُـرر الـقـصـيـد قـيـودا[1]

وإشارة الشاعر إلى كنه القصيدة ومقوماتها ومقاصدها مما تمثلته تجربة أبي تمام الشعرية وهي تتشبث بالموقف العربي السليم الذي يرعى حضارة الكلم بما يدعمها لصون منزلة الكرامة في المجتمع التي فقدها العصر العباسي على يد المحدثين من الشعراء كبشار وأمثاله .

ولم يكن أبو تمام معتزا بمدحه بقدر ما كان واعيا بمقاصد الشعر العربي والسبل الكفيلة بصونه وترقيه، ومن ثم كان الفكر في تجربته الشعرية وسيلة تطور وسمو تتجدد به المقاصد:

خـذهـا ابـنـة الـفـكـر الـمـهـذب فـي الـدجـى
والـلـيـل أسـود رقـعـة الـجـلـبـاب
بـكـر تـورّث فـي الـحـيـاة وتـنـثـنـي
فـي الـسـلـم وهـي كـثـيـرة الأسـلاب
ويـزيـدهـا مـر الـلـيـالـي جـدة
وتـقـادم الأيـام حـسـن شـبـاب[2]

ووعيا من أبي تمام برسالة الشعر والشعراء حرص على أصالة القصيدة العربية وتحقيق إبداعيتها:

---

(1) ن. م. ص: 1/ 421 ـ 422.
(2) ن. م. ص: 1/ 90. 91.

إليك أرحنا عازب الشعر بعدما
تمهل في روض المعاني العجائب
غرائب لاقت في فنائك أنسها
من المجد فهي الآن غير غرائب
ولو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت
حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول إذا انجلت
سحائب منه أعقبت بسحائب[1]

لم تكن طريقة أبي تمام في سبل إعادة المجد للقصيدة العربية مسلكا شعريا فحسب، ولكن كانت مقصدا حضاريا حيث استجابت طريقته لتطور العلوم وآليات المعرفة ..مما أحدث نقاشا نقديا كبيرا، كانت فيه لأبي تمام بطولة شاعر استطاع أن يخمل الكثير من شعراء عصره لا بفضل خصوصياته الشعرية ولكن بالتشبث بأصالة القصيدة من خلال وقفاته النقدية التي وجهت الحركة الشعرية في الإبداع العربي إلى مسالك الارتقاء.

وإذا كان أبو تمام بترسيخه لأصول الشعرية العربية فإن تلميذه أبا الطيب المتنبي قد استوعب آفاق التجربة وبنى على أساسها الرصين المتين طريقته الشعرية القائمة على إبراز البطولة الشعرية التي هي ضرب من ضروب النقد بعيدا عن تقصيد النقاد لمفهوم الشعر ...

---

(1) ن. م. ص: 1/ 213 ـ 214.

إن شاعرية أبي الطيب المتدفقة ووعيه بواقع القصيدة العربية وتمرسه بتجاربه قد جسدت معالم بطولة أقرتها شخصيته التي حملت هموم عصرها:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم[1]

إن المبدع والمتلقي كلاهما يمارس مسؤولية الإبداع والقراءة، ووعي أبي الطيب بذلك سبيل إلى شاعرية ناقدة قلما توفرت لشاعر، ولم يكن مرجعه الاعتداد بالذات والفخر بالأنا والمغالاة في الصور بقدر ما كان مرجعه إلى الإحساس بالقدرات الفنية التي ترفع من قيمة الشعر:

دعاني إليك العلم والحلم والحجى
وهذا الكلام النظم والنائل النثر
وما قلت من شعر كأن بيوته
إذا كتبت يَبيَضُّ من نورها الحبر
كأن المعاني في فصاحة لفظها
نجوم الثريا أو خلائق الزهر[2]

---

(1) شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، المجلد 2، ص: 4/ 83 ـ 84.

(2) ن. م . المجلد الأول، ص: 2/ 262.

إن أبا الطيب شاعر شغل الناس وملأ الدنيا، لكونه تمثل أعراف القصيدة العربية واستكنه آلياتها بالحدس واليقين مما جسد ظاهرة الذوق الشعري الذي أحياه بالمعرفة والإدراك، راميا إلى إعادة مقومات الإبداع الشعري العربي في عصر استبدت به أمور المحدثين وما دسه العجم من أفكار هدامة .. وكأن أبا الطيب في ذلك إنما يحرص على إعادة المجد العربي وبطولة إبداعه وإحياء مقوماته بجزالة اللفظ وسحر الأسلوب وحكمة المقاصد تمثلا بالشعراء:

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا
وأبو يزيد وذو القروح وجرول

إن بطولة أبي الطيب قد استمدت من الماضي المشرق حضارة الشعر فيه بكل صورها ومثلها. وبذلك رسخ النموذج الجديد للقصيدة العربية التي غالبت بطولتها بطولة المدح وكل الأغراض الشعرية الأخرى..

وبمثل هذا التصور استطاعت حركة الشعر العربي أن تستمر في عصور النهضة الشعرية في الجزيرة العربية والخليج وفي المشرق والمغرب دؤوبة على إحساس عربي كان رائدها معاودة الشعر العربي في أنصع صوره وأجلى معطياته. وقد كان وعي الاتجاه الحداثي بمقومات القصيدة العربية ودلالات استمرارها وعيا بما آلت إليه حالة الشعر بمد المعاصرة الزاحف على القصيدة العربية الأصيلة. وكأن حال الحاضر

أشبه بالماضي يوم قال أبو تمام متحسرا:

ألا إن نفس الشعر ماتت وإن يكن
عداها حمام الموت فهي تنازع
سأبكي القوافي بالقوافي فإنها
عليها ولم تظلم بذاك جوازع
أراعى ضلالات المروءة مهمل
وحافظ أيام المكارم ضائع ؟![1]

ولعل تشبث شعراء البعث والإحياء والنهضة بهذا الماضي الأصيل جعل شعرهم لا من حيث هو إبداع، ولكن من حيث هو رؤية شعرية/نقدية أكسبت تجاربهم تطلعا إلى فحولة شعرية استمدت من بطولة كان الشعر محورها.

يقول شوقي:

شعر من النسق الأعلى يؤيده
من جانب الله إلهام وإيحاء
من كل بيت كآي الله تسكنه
حقيقة من خيال الشعر غرَّاء
وكل معنى كعيسى في محاسنه
جاءت به من بنات الشعر عذراء

ولا شك أن التشبث بهذا التيار الإحيائي في القصيدة قد

---

(1) ديوان أبي تمام: 4/ 584.

دعمها بالكثير من الأسس التي صانت عروبة الشعر باعتبارها ملاذا لقيم الكرامة ومقصدا لإنسانية السلوك الإبداعي. وفي هذا السياق تأتي تجربة الشعراء المعاصرين الإبداعية محققة للتواصل بين حقب التاريخ. تتفاعل فيها بنيات الإبداع ومجالاته، ومحققة للانفتاح بين مختلف البيئات الثقافية التي تشبعت بتالد الشعر وطارفه. وتلك ظاهرة إيجابية في الحركة الإبداعية العربية المعاصرة حيث كان التواصل والانفتاح سبيلين إلى ارتياد آفاق إبداعية جلى أكسبت الإبداع العربي انسياب النفس الشعري الذي حقق للكلمة العربية بيانها وللقصيدة شعريتها. وفي ذلك صمود وتحد أمام جبهات الانحراف الشعري التي سادت واقعنا العربي اليوم، كما في ذلك صدود لكل التحديات التي اختلقتها حركة الحداثة الشعرية المعاصرة بتبنيها لمختلف سبل التصدي لمعطيات الإبداع العربي والانصهار في بوتقة الدعوات إلى التحرر من (قيود) القصيدة العربية.

إن حرص الشاعر المعاصر على البطولة الشعرية وعي بالذات وإمكانياتها من خلال التمسك «بالتصور النقدي العربي الأصيل للشعر إنجازا وتصورا كما يتبين في شعر شوقي وفي مقدمته النقدية المشهورة، لكن انبهار كثير من شعراء هذه المرحلة بالمفاهيم النقدية العربية التي تشبعوا بها خلال دراستهم في أوروبا أو اطلاعهم على الآداب الأجنبية، كان إنباءً بظهور مرحلة التحديث التي بدّل فيها الشعر على استحياء مفهوم الشعر

الموروث عن العرب من حيث هو لفظ موزون مقفى يدل على معنى في بيت له بدايته ونهايته الإيقاعية الصوتية، قبل أن يصبح جرأة في مواجهة هذا المفهوم الموروث، ودعوة صريحة إلى التخلي عنه لصالح مفهوم جديد يستمد مقوماته الفنية والنقدية من حركة الشعر الحديث في البيئات الثقافية الأوروبية والأمريكية»[1] ... وقد أسهم ذلك عن قصد أو غير قصد في إضعاف هذه العروبة الشعرية بإثقاله بمصطلحات الأساطير اليونانية التي تتردد في الشعر الغربي، وبدلالاتها الرمزية التاريخية والدينية الوثنية، وهذا ما جعل أحد الباحثين يقول: «ولا أنكر أن من وقفوا من جيل حركة الشعر المعاصر في صوغهم التحديثي لمفهوم الشعر ـ عند النموذج الموسوم بشعر التفعيلة قد حفظوا للشعر الموروث عن العرب بعض عروبته، لكن تعبيد الطريق الذي سار فيه عادة نمط الكتابة المرسوم بقصيدة النثر كان إعلانا عن انحراف بعض أعلام حركة الحداثة الشعرية المعاصرة نحو التغريب الشعري، وهو انحراف لا أتردد في وصفه ... بأنه إفقار لشعرنا العربي وجماليته، لأن الذين اعتقدوا من المعاصرين بأن باستطاعتهم بناء شعرية عربية منفصلة عن مكوناتها الفنية الأصيلة واهمون، لأنهم سيكونون كمن يريد أن يتكلم بلغة غير عربية، فشعرية الشعر هي عروبته، وعروبته هي شعريته، ولإحساس رواد هذه الحركة بالمأزق الذي أوقعوا فيه الشعر العربي بدعوتهم إلى نثرية الشعر اعترف بعضهم غير متحرج

(1) خطاب العروبة في الشعر العربي، ص: 2/ 560.

بأنهم ساروا بالشعر نحو طريق غير عربي توهموه سينتهي بهم إلى خصوبة الإبداع فوجدوه مسدودا»[1].

غير أن الحرص على عروبة الشعر وتجليات كرامته الإبداعية حققت لكثير من كبار شعراء العربية هذه المكانة التي تطلعوا إليها اليوم لإتمام ما أنجزه القدماء، فمحمد مهدي الجواهري وعبد الله البردوني وعبد الله الفيصل وغيرهم من الشعراء قد رسخوا من جديد عروبة الشعر والإحساس ببطولته الشعرية الفذة منجزين بهذا السلوك الإبداعي الحضاري العربي التواصل العروبي والانفتاح الإنساني. ومن بين هؤلاء الشعراء نذكر الشاعر عبد الله محمد صالح باشراحيل.

---

(1) ن. م: 2/ 562.

ثانيا: مشروعية
البحث في الفروسية الشعرية

يستمد الحديث عن الفروسية الشعرية لدى الشاعر عبد الله باشراحيل من عدة ممارسات:

أولاها، أن هذا الموضوع يندرج في سياق اهتمام خاص - كما سلف القول - **يرمي إلى تحليل بنيات القصيدة العربية القديمة منها والمعاصرة، الفصيحة منها والشعبية**، وهو اهتمام تولد لدي من محاولة النفاذ إلى عمق الإبداع الشعري ومن ممارسة النظر إلى الدراسات النقدية، باعتبار أن النقد والإبداع لا يتواءمان في مقاصد التجاوب بين الشعر وسبل الفهم والتحليل ضمن العملية النقدية فحسب، ولكن يتداخلان ضمن قدرة الذات المبدعة في حرصها على التأمل وروم الأبعاد الجمالية والفنية، ومن ثم فالشاعر أول ناقد لشعره لا في حواراته وتنظيراته ومقالاته، ولكن في شعره. وفي إدراك المتلقي لإشكاليات هذه العلاقة بين الشاعر/الناقد وعي بتطلعات تروم تأمل حوافز الإبداع ومقاصده قصد الكشف عن

مقاربة وظائف الشعر وتحليل آلياته وفق منظور إبداعي /نقدي. ويستمد هذا المنظور من رؤية القصيدة لمكوناتها وفضاءاتها سبلا ترتقي بالذاتية إلى موضوعية تسهم بمرجعياتها في فعلي الإبداع والقراءة من أجل البحث عن تواصل إنساني تبرز فيه المؤهلات ومعطياتها وتستشرف الحداثة وقدراتها.

إن الشاعر العربي حين يبدع ضمن أية فعالية لعلاقة ما يستحضر الحافز المهيمن على تجربته الإبداعية بهدف كسب إبداع له منهجه وفعاليته وتأثيره ومقصديته... وهكذا تبدو العملية الإبداعية نقدية في عمقها، أي إنجازا لما هو نقدي شعري تصريحا أو تضمينا دون تحويل إبداعه إلى خطاب نقدي.

وثاني هذه الممارسات التي حفزتني على اختيار إنجاز هذه الرؤية من خلال أشعار عبد الله باشراحيل هو ما لمسته من **معطيات في شخصيته الأدبية من وحدة الإبداع** باعتبارها رؤية ناقدة وشاعرة .

وتتمثل الرؤية الناقدة فيما كتبه من مقالات وتوقيعات كانت الفروسية فيها تعبر عن أحد الاهتمامات في المجتمع والأدب. ففي الباب الأول من كتابه أصداء الصمت، الصدى الأول نجد المقالة الأولى بعنوان «الفروسية والموعد الحضاري المرتقب» وتستهل بتعريف الفروسية: «هي كلمة جامعة لصفات وخلائق رفيعة يفترض أن تكون في الفارس فهو يتسامى بالشهامة والنبل

والشجاعة، ويمتاز الفارس بالمهارة والقدرة على ركوب الخيل وتطويعه وترويضه في الحرب والسلم»[1].

ورغم أن دلالة المقالة تتعلق **برياضة الفروسية فكأني بها تتعلق أيضا بفروسية الشعر**، باعتبار أن كلا من الخيل والشعر مجال للإبداع في الحركة والقول. ويدعم هذه الرؤية الشاعرة في نفس المقالة ما أورده صاحبها في آخرها من أبيات من شعره:

الفارس الشهم لا كبر ولا صلف
ومن نداه يعيش البدو والحضر
يسري إليه الشذى في لثم ثمرته
ويعتلي من علاه المجد والظفر
إذا أنلناه حبا فهو باذره
وباذر الحب ينمو حوله الثمر[2]

وبقراءة تأملية في هذه الأبيات نجد أنها تتضمن أقانيم الفروسية في شتى عناصرها المادية والمعنوية، لأني وجدت ما كنت أستجليه في قراءات لشعراء آخرين مجسَّدا في أعمق تأمل وأخصب تفكير وأصدق شعور، وكأني أجد في عبد الله باشراحيل معالم فروسية وهي تجتاح حلبة الفرسان، أو هي تجول في حلبة الشعراء... والشاعر الفارس أو الفارس الشاعر نظرا لما بينهما من

---

(1) أصداء الصمت ؛ الصدى الأول، عبد الله محمد صالح باشراحيل، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 2000، ص: 15 .

(2) ن. م، ص: 17 ـ 18.

تواصل وتداخل وترابط ووحدة يحقق كلاهما أنموذجا لجملة من الفضائل يسعيان إلى تملكها وإلى إشعاعها، لأنها معالم الذات المبدعة وهي تروم إحساسا جمعيا يعلم ويربي لينجز سلوكا حضاريا ساميا.

إن الأبيات الثلاثة المشار إليها تشكل من وجهة نقدية المعادل الموضوعي الذي تتوحد فيه متطلبات القارئ ومتطلبات الشاعر.

الفارس	الشاعر
الخيل	الشعر
البدو	التيار البدوي الفني
الحضر	التيار الحضري الفني
الشهم	النبوغ
الغرة	المكانة
يعتلي من علاه	يعبر عن آمال
الحب	القريحة
الباذر	المعاني والمشاعر
الثمر	القصيد

وفي تحليل هذا المعادل الموضوعي نستحضر ما جاء في باب احتماء القبائل بشعرائها في كتاب العمدة حيث يقول ابن رشيق: «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل

فهنأتها، وصنعت الأطعمة واجتمع الناس يلعبون بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم. وكانوا لا يهنِّأون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج»[1].

وفي نبوغ الشاعر بطولة وفروسية تخلد قيم الجماعة ومثلها، فالشعر ديوان العرب، وعند تتبع مظاهر نبوغ الشاعر نجد تاريخ أمة شاعرة صانت الكلمة والموقف، وأخلصت للإبداع واحتمت بالفضائل.

ومن ثم فإن البحث في معاودة تجليات الشعر العربي عبر العصور سبيل إلى تجديد الرؤية النقدية/الإبداعية في أقوى إدراك لحضارة الشعر الإنسانية، وهي تحقق فروسية الحركة والقول.

ويبدو أن الشاعر عبد الله باشراحيل بفروسيته الشعرية قد لفت النظر إلى مكون نقدي له من الجدية والفعالية ما يجعله باحثا عن كون شاعري فيه يهيم الفارس وهو ينشد الحب والفضيلة وفيه يهيم الشاعر وهو يتطلع إلى القيم والمثل .

وإن مقاربة رصد مفهوم لنظرية شعرية عند عبد الله باشراحيل من خلال إشاراته النقدية الواردة في أشعاره تصبح فاعلة في التجربة الإبداعية سواء بالنسبة للشاعر نفسه أو للشعراء العرب

---

(1) العمدة، ص: 1/ 65.

القدماء منهم والمحدثين، وليس الأمر هنا يتعلق بعرف متوارث، بقدر ما يجسد الوعي بشاعرية الشاعر وتمثل الذات المبدعة وهي تتطلع إلى فروسية شعرية ـ لمقومات الفن الشعري، لا باعتبارها مقولات نقدية في علم النقد، ولكن باعتبارها نهجا يشكل رؤية إبداعية تصبح فيه هذه الإشارات النقدية مجالا لتحقيق جملة من المقاصد منها :

أ ـ إثبات الأنا الشعري أمام الآخر ممدوحا كان أو موصوفا.

ب ـ الوعي بمقومات الشعرية التي تؤسس بنيات الشعر ومجالاته.

ج ـ إدراك الكون الشعري وتأثيث عناصره فنا وأداة.

د ـ تحديد وظيفة الشعرية ومقاصدها وقيمها الخلقية والجمالية.

هـ ـ الكشف عن مرجعية شعرية سواء تعلقت بالتواصل بين القصيدة والموضوع أو بالتداخل بين الذاكرة والمنجز.

وفي تشبث عبد الله باشراحيل بهذه المقاصد واستشرافه لواقع شعري جديد مقاربة تجعل الناقد يجسد من تلك الإشارات منظومة نقدية تدعم التجربة الإبداعية بالكثير من الرؤى الذاتية والموضوعية التي تستقطب الكون الشعري.

وبذلك، فإن مشروعية البحث في الفروسية الشعرية تستمد

من تجربتي النقدية باعتباري باحثا في تلقي القصيدة العربية وقيمها الفنية، ومن المؤهلات الفاعلة في شخصية عبد الله باشراحيل الأدبية باعتباره شاعرا ناقدا وكاتبا مثقفا، مما أتاح له الوعي بكنه التجربة الإبداعية ومتطلباتها.

ثالثا: فروسية الفن الشعري

يحظى العمل الفني بتقدير كبير في الحضارات الإنسانية لأن العمل الفني وما يتوفر عليه من أسس تتجلى في قدرة الانفعال على مقاربة الإبداع وفي بناء الصورة على تجاوز الواقع، وفي تصدر وظيفة الإبداع في سياق علاقات متشابكة بين الذات والموضوع، يسعى إلى تلمس سبل التوازن بين الإخبار والإقناع والإمتاع.

وإذا كان الشاعر يجسد مظاهر العلاقات بين سائر الفنون باعتباره يتوسل بكل مقوماتها الفنية، فإن فروسية الفن الشعري تصبح سلوكا حضاريا يؤصل المعايير والمقاصد ويمكن استجلاء هذه المعايير فيما رامه عبد الله باشراحيل في فروسيته الشعرية من مقومات:

1 ـ الشعر موهبة:

إذا كانت مختلف الحضارات قد حاولت استيعاب الظاهرة الفنية من خلال مرجعيتها الأسطورية في الثقافة اليونانية أو من

خلال جن وادي عبقر في الثقافة العربية الجاهلية، ومن خلال الطبع والصنعة في النقد العربي، أو من خلال الحدس والإلهام واللاشعور في الفلسفات الغربية، فإن الإقرار بموقع الموهبة فيها شرط أساس في العمل الفني، إذ لا مناص من أن ينطلق الشاعر منها لتحقيق الذاتية والتميز، وكلاهما جوهري يتيح الشرعية الجمالية في العمل الفني التي تكسب المبدع قدرته على فهم مكامن الإبداع، وتمكن المتلقي من استيعاب قيمه الفنية. لذلك يبدو الحرص على الموهبة في أشعار عبد الله باشراحيل توجّهًا فنيًّا لإدراك واقع التجربة الإبداعية في متطلباتها:

فصف لنا زمنا يسمو بموهبة
قبل الفوات بآمال وأنوار (1)

وبين مقاصد الآمال والأنوار تبدو مكامن الإبداع باعتبارها وعيا حضاريا بماض نستعيد منه جذوة الشعر:

فنحن قلائد الشمس

ننير المقبل المنسي

وننقل جذوة المتخيل الكوني

من حدس إلى حدس

نثير مكامن الإبداع

---

(1) ديوان الخوف ضمن الأعمال الشعرية، ص 1/ 424.

بين اليوم والأمس [1] .

وإذا كان الشاعر يحس بمجد الحضارة العربية والإسلامية وبتنويرها العالم فإن الحوار الحضاري الجديد يدعم رسالة الشاعر إلى الآخر من منطلق الإحساس بالآمال التي تبني هذا الغد المشرق. وفي ذلك إشارة إلى أهمية خطاب الإبداع وما يشيده من منابر الحوار في وقت شديد الاحتياج إلى الإبداع:

لأنّ الحب مذ كنا تعهدناه من جيل إلى جيل ،

وأورق غرسه فينا

ولن نرضى سواه فديننا

دين الإخاء إلى سلام النفس يدعونا

متى يرتاح بعد الجور قاصينا ودانينا

ويكبر داخل الإنسان طفل عن حضيض الشر يعلينا

تصافحنا أياديكم، تصافحكم أيادينا

نضيء مجاهل الدنيا أغاريدا ونزرعها بساتينا

نشيد منابر الإبداع في أعلى مبانينا

لأن الأرض مهما طالت الأعمار تطوينا[2]

وجدير بمنابر الإبداع أن يزهو بها الشاعر لما فيها من صدق

---

(1) قلائد الشمس إلى مثقفي أمريكا، ص: 23 ـ 24.

(2) ن. م، ص 38، 39.

الشعور وروية الفكر ومقصد النبل، إنها الصرخة ضد جهالة العصر وقطّاع ثقافته ولصوص أفكاره:

أزهو بموهبتي التي

تغري الشعور بغير حدّ

وأقول قد يأتي الذي

قد ينجد الفكر وقد

آثرت إبداعي لديك

ظننت أن النور مدّ

واليوم إحساس يقول

بأن بعضك يبتعد

وأنا الذي لا يرتضي

إلا النبالة للأبد[1]

وعندما تتحول الموهبة عند الشاعر إلى موقف نضالي فإن جيشان الإبداع يصبح مطلبا لمقاومة ابتذال الشعور وهجر القوافي:

يريدون مني ابتذال الشعور

وهجر القوافي وشدو الهديل

---

(1) قناديل الريح، ص: 221، 222.

ومن حجب الفكر عن قومه
وضن عليهم فبئس البخيل
فكيف بفوارة من دمي
تضج بإلهامها أن تقول
أأحجبها كيف لا أستطيع
لقد أنجب الشعر طبعي النبيل [1]

بذلك كانت الموهبة عند عبد الله باشراحيل فروسية شعرية وطاقة متفجرة بالعطاء لخدمة وطنه، وسبيلا إلى الحوار الحضاري الجاد الذي يسهم في بناء عالم الإنسان، عالم الذات والتميز.

2 ـ الشعر صناعة:

إن الشاعر فنان بطبعه، أي بما يملكه من أدوات تبلور موهبته وتقيم إحساسه. ولما كانت القصيدة بناء متراصا يتكون من جملة وافرة من الأسس يصبح حرص الشاعر على صناعة شعرية تبحث عن كون شعري بحس لغوي لتحقيق نسيج لشعرية متكاملة العناصر، وفيها تتعدد كلمات: الأبيات والقوافي واللغة والألفاظ والفكر والخيال والنغم، وهي كلمات فاعلة في تكوين القصيدة/ الخريدة/ اللؤلؤة .

وعندما يدرك عبد الله باشراحيل أصالة منظومته النقدية، فهو يعي عناصر الاستنبات الشعري التي تحيله إلى شعريته العربية

(1) ديوان الخوف ضمن الأعمال الشعرية، ص 1/ 378 .

ومقوماتها الأصيلة من الإرهاص الإبداعي إلى اللغة الشاعرة:

في البداية كنت صوتا

أجتلي للكلام لغة وأمثلة

فأستنبتّ عقل المعاني

واللغة التي كانت أبي

علمتني أن أمي منطقي الأول

ولثغة المهد بيتي [1]

إن هذا الانتماء إلى العروبة الشعرية يشكل بنية مترابطة تبدأ باللفظ الموحي الذي تبحث عنه الحكم:

وكان كل حديث حين تنطقه

سحرا تتوق إلى ألفاظه الحكم [2]

وقد تتجاوز الألفاظ حدود الحس لتغور في لغة المشاعر بتأثير من سحر الموقف:

يا ساحر العينين والخدين حبك لا يُجاهِر

لغة الكلام تعطلت وتحدثت لغة المشاعر

ولغة المشاعر هذه ليست إلا لغة الشعر تمتاح من ذكر «سناء» لبنان أهداف قافية مناضلة:

---

(1) ديوان قناديل الريح، ص: 208.

(2) ديوان الخوف ضمن الأعمال الشعرية: ص1/ 416.

من وحي ذكراك أقضي الليل مرتقبا
أذود بالشعر حتى يسقط القلم
وأستريح على أهداف قافية
تكون للسيف حدا حين ينثلم [1]

لأن القافية أو القصيدة أنغام تحرك البواعث والدواعي:

يا باعث الحب هذا بحرك الطامي
دعني أبثك من شعري وأنغامي
ماذا أقول وراعي الشعر يرفدني
برائع من غوالي الشعر رنَّام[2]

وعندما يصبح الشعر تسبيحا يذكرنا بطقوس القداسة التي تخلِّد الشعر في محراب الحب والإيمان. وحينئذ يصبح ترتيل الشعر مظهرا إيقاعيًّا منتظما:

فما عسانا وحب الأرض يسكننا
نرتل الشعر كالحبات منتظما[3]

ولا يقتصر الشاعر على الوعي بأهمية اللفظ والقافية والنغم في صياغة فروسيته الشعرية فيدرك المقومات الأخرى الفاعلة في تكوينها كالخيال والفكر.

ويعد الخيال عمدة الإبداع ،به تكتسب القصيدة كينونتها وبه

---

(1) ن. م. ص 1/ 417.
(2) ن. م: ص 1/ 391.
(3) ديوان النبع الظامي ضمن الأعمال الشعرية. ص: 197.

تفجر طاقات الأحاسيس والمشاعر بحثا عن «الفكرة البكر»[1] أي عن صورة جميلة في نماء الكون الشعري وتطوره في القصيدة يقول عبد الله باشراحيل في توقيعاته: «الكون أصغر من الخيال»[2]

وإدراك هذا التفاوت قيمة نقدية أعلت من الشعر ومن الكون الشعري:

فإنني شاعر والشعر أخيلة
تهيم بالفن في واد من الصور[3]

أما الفكر فهو ضرورة في إحكام صنعة الفروسية الشعرية، حيث تتعمق مقاصد الشعرية العربية ويخلد مساراتها لأنه صوب العقول كما قال أبو تمام. وفي حرص الشاعر على هذا الجانب تنوير برحلة الشعر والإبحار إلى الشوق وإلى المطلق:

وشعري مبحر في الشو
ق من فكر إلى فكر[4]

وبذلك تستوي القصيدة عند الشاعر. وتصبح هذه العناصر المكون الشعري لفروسية تتلاحم فيها الألفاظ والمعاني، وتتوحد فيها الذات والكون الشعري ليصبح الإنسان / الشاعر هو الأنا والآخر وفي ذلك إنجاز لبديع الأشعار:

---

(1) توقيعات، ص: 93.
(2) ن. م، ص: 23.
(3) ديوان الخوف ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 457.
(4) الهوى قدري ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 79.

رأيتك رائع الأفكار ... بديع الفن والأشعارْ

تضيء جوانب الدنيا وتترك أجمل الآثار

سلكت إلى الذرى الشماء بالإعلام والأخبار

وصغت قلائد الياقوت في الأسفار والإبحار[1]

وبذلك كان حرص عبد الله باشراحيل على التوسل ببنيات القصيدة وعيا منه بمتطلبات الإبداع الذي لا يرقى إلا بصناعة يُحتفى بلغتها وصورها قصد إبراز قيمها الجمالية.

3 ـ الشعر وظيفة:

إن وعي الشاعر بمقاصد الشعر وإحساسه بدوره في الحياة الإنسانية يعبر عن رؤية نقدية، تستلهم تجلياتها من وظيفة الإبداع الشعري الذي يجدّ الشاعر في توظيفه وتأثيث فضاءاته. وأمام تعدد مجالات وظيفة الشعر عند عبد الله باشراحيل يمكن أن نقتصر على أبرزها.

أ ـ وظيفة إنسانية، وهي تعتمد على الحب باعتباره قيمة سامية تبلور جملة من المشاعر النبيلة التي تطبع فروسية الشعر بالعديد من المحفزات الفاعلة في التجربة الإبداعية. وإذا كان الحب هو المكون الأساسي في أشعار عبد الله باشراحيل فلأنه اختيار يعبر عن واقع الذات والعصر كما يعبر عن هموم الإنسان

---

(1) ديوان النبع الظامي ضمن الأعمال الشعرية ،ص: 1/ 320.

ومعاناته .. لذلك كان الحب عند الشاعر هو الشعر:

والهوى عمري وأشعاري وذاتي [1]

وهو كينونة الحياة:

فالحب ترياق الحياة ونبضها
إن الحياة بغير حب علقم[2]

وهو جمال الحبيب:

يا حبيبا لم يزل غضَّ الصبا
وأليفا ناعما بين البرودِ
كيف يسري الوجد في بحر الهوى
حينما يذكيه إشراق الخدود
وخيال الغيد في فتنته
رائع المبسم مياس القدود
كلما مر على غصن ند
داعب الغصن بفواح الورود
آمر، ليس يرى مبتدرا
سحره الأعذب في بيت القصيد[3]

وتتعدد مظاهر الحب وعلائقه في ضوء مزاج الشاعر وحالته النفسية وظروفه الاجتماعية فتستبين تجربة تغور في أعماق

---

(1) الهوى قدري ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 102.
(2) النبع الظامي ضمن الأعمال الشعرية، ص : 1/ 282.
(3) ن. م. ص 251، 252.

الوجدان بكل انسياب وبساطة وبكل انسجام في مواقف الذات من الآخر والكون. فكان الحب بكل معجمه يعبر عن مقاصد الحياة التي يكثفها الشعر:

للحب للود الجميل منازعي ستردد الأجيال إن الحب لحني
لا تطرقي رأسا ولا تبكي أسى يا نفس قد أبقيت للأحباب فني[1]

ب ـ **وظيفة ذاتية**، ترتكز على الذات في معاناة همومها واستشراف تأملاتها باحثة عن الشوق والمطلق ومعبرة عن آلام الذات.

يا وحي شعري ويا أيام تهيامي
من كان منا الصدى في المنبع الظامي؟
ما رقّ لي خافق يوما ولا عرفت
قدري الضمائر، يا للواجف الدامي
وما تخيلت أني مانح ثمري
لسافح يتشهى ذل إرغامي
حتى بدا في ضمور الجسم علته
واستفحل الداء واستعذبت أسقامي[2]

ومن ثم كان الشعر والذات صنوين لا باعتبار أن الشعر ينفس عن ذات الشاعر، ولكن باعتبار أن الشعر يجدد الذات في تطلعاتها والحب في ذكرياته:

---

(1) ديوان الخوف ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 464.
(2) النبع الظامي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 295.

ألا تذكرين الروض حين يحفنا
وأنسامه في رجع أنفسنا تسري
وحدثتني عن أيكة العشق والهوى
وفارسك الآتي على الخيل في الفجر
وإنك أسرجت المهامه حوله
وأسكنته قلبا أشف من الشعر[1]

وحين تصبح العلاقة وطيدة بين قلب المحبوب والشعر تبدو شفافية الروح طبعا أصيلا في ذات فارس تحب وتفكر وتتخيل .

ج - **وظيفة جمالية**، وهي ترتكز على تأمل المكان باعتباره عشا يحقق الأمن والسكينة مما يجعل توصيفه يكسب الإبداع قيمة جمالية وقيمة شعرية أخلصتا لأم القرى المقاصد:

موطني يا حبة الرمل الثمين
والنمير العذب في لون اللجين
والندى الضاحك في وجه الأماني
وسنا الإشراق في أحداق عيني
يا بلادي! وقصيدي فيك يسمو
صادق البوح على الصمت الرهين
بلبل يا درة الأوطان يشدو
فيك ألحانا من الشعر المبين

---

(1) ن. م: ص 1/ 311.

يسهر الليل على أحلام صبح
ينشر الحب على القلب الحزين[1]

وتترسخ القيمة الروحية لبعد المكان فيهدي القصيدة إلى بلده:

فإليك أهدي يا بلادُ قصيدتي
وإليك وحدك أبدع الترتيلا
فلأنت أرض الله يعرفها الذي
قرأ الكتاب وأدرك التنزيلا
بلد النبي ومهد أكرم أمة
ولقد سموت مناهلا وأصولا[2]

لقد كانت القصيدة أبدع معبر عن إحساس الشاعر بقداسة المكان التي تجلى فيها الشعر صادق الحب والوجدان. ومن ثم يضحي المكان في فكر الشاعر وواقعه توافقا بين الطموح الشعري وجمالية المكان ،وفيهما إيحاء بفاعلية حركة لغة شعرية تنساب مع سمو القيم العليا مناهِلَ وأصولا .

د ـ **وظيفة كونية**، وهي تقوم على حضور معالم الكون في القصيدة باعتبارها تجسد في الإبداع مكونا يتجاوز الذات ليعانق الكون في أجل مظهر من مظاهره وهو الطبيعة حيث «تتوجدن» الشاعرية فيها لتقيم علاقة انسجام وتوحد بين الشعر والطبيعة:

---

(1) ديوان قناديل الريح، ص: 45.
(2) ديوان معذبتي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 63 .

من واله القلب من أصداء تبييني

أهوى فرائد أزهاري ونسريني

وعندما يسود معجم الطبيعة يصبح خطاب الشاعر إلى صديقه الشاعر بديلا عن مشاعر وأماني ذاتية:

يا شاعرا شعره روض وأغنية

إني أتيتك ألقي بعض أشعاري

ما للأماني التي أورقتَ دوحتها

يذوي بها الصمت في ضن وإيثار[1]

وما الأماني التي يرتسمها الشاعر إلا النفيس من النور الذي يسمو بالقصيد إلى ضوء الشموس لينير إبحار الشاعر إلى المجهول:

وقصائدي ضوء الشموس وبينها

جزر محرمة وعذري ليت أني

أبحرت لا ماض يطيب حديثه

يوما ولا سلوى ترقّ لمطمئن

أنا نغمة الساري على جمر اللظى

وأنا المعنَّى في أخاديد التغني

أنا بسمة خجلى على زمن الأسى

لأزف أعراس الوفاء بدمع عيني[2]

---

(1) ن. م، ص: 1/ 423.

(2) ن، م. ص: 1/ 463

لذلك يجسد الشاعر توحدا بين المعاناة والطبيعة، وهذا ما يجعل الشعور بالأنا صيغة لكون شعري يبحث فيه عن العزاء:

والشعر يمحضني العزاء وإن أباح الدهر صدَّه
أروي به ظمأ المسير وكم على الأحباب مدَّه[1]

هـ - **وظيفة نقدية**، وهي تنجلي في إدراك الشاعر واقع الشعر في عصره وما لحقه من مظاهر التجني التي حادت به عن جادته. فلا الشعراء أعادوا للشعر وظيفته في الحياة، ولا العصر وفر الأمن والطمأنينة للشعراء ... ومن ثم يحرص عبد الله باشراحيل في خطابه إلى أحمد شوقي على رصد واقع الشعر:

أدعوك في زمن تناقض أمره
وسطا على الشعر العظيم الباني
الشعر في أيامنا في محنة
من هجمة الغرباء والغربان
أدعوك، أدعو الشعر يثري عمرنا
أدعو أمير القول والتبيان[2]

وفي حب الشاعر للإبداع في زمن تنكر للقصيد إحساس صارخ بواقع مزر:

حسبي من الجهال قلبي بات صامد
والحب في نفسي مزامير ... القصائد

---

(1) ن.م، ص: 1/ 437.

(2) ديوان معذبتي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 59.

ما ضاق بي نهري بأنواع الفرائد
اللؤلؤ المنثور مبهور القلائد
من باع جوهرتي وسوق البيع كاسد
قالوا، أتأخذ في سبيل الألف واحد
أو تشتري بخسا بأضعاف الفوائد [1]

ومثل هذا الواقع المزري لحال الشعر ؛ كثيرا ما جعل الشاعر يفكر في هجر قول الشعر، واتخاذ موقف الصمت بعد أن «أصبح كثير من المثاليات والأحلام البريئة ... تحتضر في عالم الموت الحسي»[2]:

أيها الشعر يا صديقي تمهل لا تغني فدونك السمع مقفل
حالم أنت بالربيع يغني تتمنى وقوة الصبر أجمل
وأد الوهن قبلنا ألف عقل كان للشعر فارسا وترجل[3]

وعندما يحرص الشاعر على الاعتذار عن قول الشعر لمن حرضه عليه لا يجد سبيلا إلا تعرية الواقع ...

.. وتطلب أن أغني
بعدما طعنت بلابلنا
برمح جد مسنون

---

(1) ديوان الخوف ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 477.
(2) أصداء الصمت، الصدى الأول، ص: 166.
(3) ن. م، ص: 167.

.. أتطلب يقظة الإحساس

في جيم وفي سين

.. وكيف يشبّه الشعراء

ظلما بالمساكين

وتطلب أن أقول الشعر

.. هلا منه تعفيني[1]

ولكن الشاعر إحساسا منه بفروسية الشعر لم يترجل، مُصِرًّا على قول الشعر لأنه فجر للقادمين:

ذهب الزمان بروعة الأشعار

فمتى يعود الفجر بالأنوار

ما هذه الدنيا بغير قصائد

إلا كآفاق بلا أقمار

لولا القصيدة لم تبرعم زهرة

ولما شدا طير من الأطيار

لأزفّ للدنيا مطالع فجرها

للقادمين، لإخوة أبرار[2]

لهذا كان الشاعر عبد الله باشراحيل في حرصه على الشعر ضمير أمة تستشرف مستقبلها من ماضيها وحاضرها ما دام الخلود

---

(1) ديوان وحشة الروح، ص: 160 ـ 162 .

(2) ديوان الهوى قدري ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 131.

سيكتب للشعر:

إني رجعت إلى قلبي أسائله
عن الفضائل في أزهى معانيها
أجابني مجهدا والعبء يثقله:
هوِّن عليك فهذا بعض باقيها
يا صاحبي وركاب البين سائرة
سيكتب الدهر أبياتي ويرويها
فالنبل لا تحجب الأستار جوهره
والشمس ما من يد للناس تخفيها[1]

و - **وظيفة حضارية**، وهي تتجسد في وعي الشاعر في ضوء تطلعاته الحضارية التي يؤمن بها، باعتباره شاعرا مفكرا. ولعل خطابه «قلائد الشمس إلى مثقفي أمريكا» جسَّد دعوة صريحة إلى حوار الحضارات الذي يبني العلاقة الإنسانية على أسس متينة:

إلى أدباء أمريكا
قرأناها رسالتكم
وقلنا ربما يخضر جدب الأرض
وتورق بيننا الأيام والأحلام
نمزج في ضياء الفجر

---

(1) ديوان النبع الظامي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 286.

نور الشعر

ونجني من تراب الفكر

بعض التبر

نهاديكم ورود الشرق

نحييكم بوجه طلق

وندعوكم لقول الحق [1]

والشاعر في خطابه الإبداعي/ الفكري يتمثل أفق الإنسان ومعالم الشعر وطبيعة كل الفضائل السامية التي يدعو إليها، وبكل التجليات الجمالية التي يتملكها. وتلك وظيفة حضارية تجعل من الشعر فضاء للسلم والإنسانية، وقد التزم الشاعر بالوفاء بها في سياق الكلمة المسؤولة التي تنير أعماق الإنسان لتوجهه نحو الأفضل، وفي سياق المقاصد النبيلة التي تحقق سمو الإنسان.

ومن خلال هذه الوظائف التي أبرزتها أشعار باشراحيل والتي تستنير سبل الإبداع بعناصرها، تترسخ تجربة إبداعية متأصلة ومتكاملة، في رؤيتها النقدية الكثير من المعالم التي تجعل من الشعر مقصدا للعديد من الوظائف التي لا ترتسم خطوطها بالقراءة والمعرفة فحسب، ولكن بالمشاعر والأحاسيس التي تكثف الكون في معطيات الشعر، وهذا ما يجعل فروسية الشعر عند باشراحيل فروسية ناضجة بالموهبة والفكر.

---

(1) قلائد الشمس، ص: 7 ـ 8.

رابعا: فروسية القيم الشعرية

إذا كانت شعرية عبد الله باشراحيل حافلة بضروب من المقومات الفنية، فإن ما يضبط تجلياتها هو السعي إلى إبراز قيم تنتظم في فروسيته الشعرية التي تحدد علاقاته بواقعه وتحدد هوية الذات الشاعرة. ولهذا كانت القيم الشعرية ليست مجرد مثل نسعى إلى تمثلها، وليست مجرد عناصر في فلسفة الأخلاق، وإنما هي أنماط من السلوك الجاد فرضها الأدب وأقرتها النبالة، والفروسية لا تتحقق إلا بجاد السلوك وبالتحلي بالنبل، وعندما تصبح الفروسية شعرية فهي ترتقي مدارج العلا، باعتبار أن الشعر سمو في الإبداع وحرص على المثال وانتماء إلى الأخلاق، ومن ثم كانت الفروسية الشعرية سلوكا يروم التكامل في «**تحقيق الفضيلة وغرسها وتأصيلها حسب الفطرة في النفوس، وإن مجرد الخروج على هدف الأدب والفن ومعيارهما لا يحسب في مجتمع الأدباء انتماء إلى الأدب والفن الخلاق إلا بقدر الإعجاز الفني في التناول والطرح الفكري والأدبي**»[1].

(1) أصداء الصمت، الصدى الأول، ص: 93.

وإحساس عبد الله باشراحيل بقيمة الفروسية الشعرية التي تمثل أبعادها في الفن والسلوك هو ما جعل أشعاره مجموعة من القيم ترسخ المبادئ الإنسانية المنجزة للرقي باعتباره شاعرا فارسا:

أنا شاعر لكن شعري يرتقي
عن خسة الجهلاء والأوصاب
لمن السنا إن لم تشع قصائدي
بضياء وجه فاض بالإعجاب[1]

وتتعدد مظاهر الارتقاء في قيم الفضيلة والحب والصدق والجمال والعفة والمجد والحق والحكمة .. مما يشكله عالم الشعر عند عبد الله باشراحيل. ولما كانت هذه المظاهر متداخلة في مقاصد التجربة الإبداعية، فإن في إبراز بعضها استجلاء لبعض معالم فروسية القيم الشعرية عند الشاعر.

أ - الحب، وهو مطلب إنساني في تجربة الشاعر، به يقيم أول صلاته بالحياة، وبه تنتظم علاقاته بالآخر وبالكون مما يجذر سمو معناه وارتقاء سلوكه اللذين يحققان التآلف والتوادد والتقدير والاحترام والصفاء والنقاء تطلعا إلى محبوب أسمى تنبع منه معاني السمو والقدوة والمحبة والإخاء [2].. ومن ثم عدَّت قيمة

---

(1) ديوان الخوف ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 475.

(2) البطولة وتجلياتها في الشعرية الإماراتية، عبد الله بنصر العلوي، معد للطبع، 1998، ص: 49.

الحب لدى الفلاسفة المعاصرين هي القيمة الرابعة التي تضاف إلى القيم الثلاثة: الحق والخير والجمال[1]. ومثل هذا التسامي بقيمة الحب ما يجعله يحقق مكاسب خلقية ترمي إلى السعادة وإلى الفضيلة .

وفي رعاية عبد الله باشراحيل لفضيلة الحب التي آثرها في توقيعاته بدلالات نافذة إلى عمق الرؤيا، منها:

* **الحب طفولة الأرواح**
* **الحب الذي لا يروى يجدب**
* **عذابات الحب قطرات الندى**
* **الحب جنة الحالمين**
* **الحب لا يموت ولكنه يهاجر**
* **الحب عقد شفهي بين القلوب...**[2]

ولمثل هذا الإدراك الواعي لقيمة الحب عدَّ المكون الأساس للفروسية الشعرية عند عبد الله باشراحيل الذي مده بتجليات الإبداع في أشعاره فكان الحب فيها نسيج الرؤيا المبدعة في تصورها وإرهاصاتها ومقاصدها .

وما دامت الحياة لا تحقق وجوديتها خارج الحب ،لأنه يفضي إلى التوازن بين الأنا والذات وبين الأنا والآخر:

---

(1) مشكلة الحب، إبراهيم زكرياء، مكتبة مصر، ط. 2، 1970، ص: 35.

(2) توقيعات، ص ص: 40 ـ 41 ـ 62 ـ 88.

فالحب ترياق الحياة ونبضها

إن الحياة بغير حب علقم[1]

ولم يكن حضور المرأة في شعر باشراحيل تعبيرا عن رومانسية حالمة أو اغتراب نفساني أو هروب حسي أو نسيب صوفي ... كما لم يكن حضور المرأة في شعره باعتبارها جسدا للإمتاع ومناسبة للتوصيف أو وسيلة للتسلي ..بقدر ما كان مرجعية يستمد منها مقاصده في عفة الغزل وروحانية العاطفة وسمو العلاقة والتطلع إلى السلم والأمل في الوحدة. ومن ثم كان الحب في سياقاته المتعددة يقوم بدور فاعل متجدد في بناء إنسانية الإنسان وتنمية قدراته النفسية والاجتماعية، وفي تكوين شخصية شاعر خبر الحب وتمرَّس بتجاربه ليحقق فروسية شعرية تجمع بين أنا الفارس وأنا المحب، والذات فيهما تسمو بنفسها وبالآخر عبر الشوق والخضوع والشجى بحثا عن سبل الخلاص والنجاة والتمسك بقيم العفة والطهارة.

إن في عالمي الحب والشعر توازنا نفسيا يقيم صيرورة الإبداع وحقوق الإنسان في البسمة والهناء سعيا إلى الانشراح:

أرجعيني لبسمتي وهنائي

وطيور تطوف فوق الكثيب

واتركيني هناك أحضن أمسي

يوم أن كنت غنوة العندليب

---

(1) النبع الظامي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 282.

بين عيني بسمة وضياء

وبخطوي روائع من طيوب [1]

ولم يكن من سبيل إلى ذلك إلا بالوفاء بالقصيد:

هذا وفائي بالقصيد فهل ترى فيه انشراح ؟![2]

والشاعر في وعيه بعالم الحب يتغيَّا أسرار الوجود ويرغب في بناء عالم يدين بالحب باعتباره يحقق «الوحدة الكلية» أي حب الذات وحب الوطن وحب الله وكلها تنزع إلى «الكمال الأسمى للإنسان» أي إلى فروسية يصبح فيها الحب نزوعا إلى العفاف والقداسة والطهر ... وهي مقاصد نبيلة تصقل صحيفة النفس:

عاشا على الحب الوفي على العفاف، على الخفر

قلبان ما أحلاهما في الليل ... في ضوء القمر

يتناجيان ... يغنيان وينشدان بلا وتر

... فالحب أقدس ما يكون إذا تسامى وانتصر[3]

ويسعى الشاعر إلى تلك المقاصد بنفس أبية تتطلع إلى معانقة الكون الذي يسمو بالحب سمو الشمس والنجوم:

تسافر فوق جناح العفاف

إلى الحب والشوق فينا عنيد

---

(1) ديوان النبع الظامي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 256.

(2) ديوان الهوى قدري ضمن الأعمال الشعرية، ص 1/ 89.

(3) ن. م، ص 1/ 107 ـ 108 .

لنلعب بالشمس في خدرها
ونلمس نجم السماء البعيد[1]

وعبد الله باشراحيل شاهد عصره: لأنه واع بواقعه ومدرك بمثالبه وشامخ بفروسية أكسبته فحولة القصيد وبطولة السلوك:

فليسكن الطهر قلبي أين أتركه
في غربة الزيف قد يمنى بأرذال
خذ النعيم خذ الأيام ضاحكة
وصن كرائم أطيابي وآمالي
دع العفاف ردائي لست أخلعه
وليس يقبل غير النبل أمثالي [2]

لذلك يتخذ الشاعر من الحب موقفا اجتماعيا يخلصنا من موبقات الاختلاف:

إذا اختلفنا على أمر فمرجعنا
إلى المحبة تحقيقا وتنزيها
الصفح يا صاحبي وعد يلاحقني
وقد قنعت من الدنيا بما فيها [3]

وتترسخ سبل الصفح والقناعة بشيوع الحب وتأصيل قيمه في النفوس، وحينئذ يصبح منارة تضيء كل المعالم:

---

(1) ن. م، ص: 1/ 118.
(2) ديوان قناديل الريح، ص: 238.
(3) ديوان الهوى قدري ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 285.

سأفجر الحب الكبير لكل موتور وناقم
سأضيء حالكة الدروب أزيح زوبعة المظالم
وأجوب أنحاء الضمير أنير بالحب المعالم[1]

ب ـ **الصدق**، وهو مطلب فني في تجربة الشاعر به يؤسس علاقاته بنفسه وبالآخرين، إذ الصدق «إفضاء بذات الشاعر بالحقيقة كما هي في خواطر الشاعر وتفكيره في إخلاص يشبه إخلاص الصوفي لعقيدته»[2] ولذلك كان الصدق سبيلا إلى قيم جعلت الشعر يحتل المكانة المرموقة بين أجناس القول، باعتباره عملا لا يقوم على المجاراة أو المحاكاة فحسب، ولكن باعتباره كشفا عن أغوار النفس الإنسانية من خلال التأمل واستجلاء المشاعر، فكان الصدق تمثلا عميقا للذات في معاناتها، واستجابة فنية للإبداع في «دقة الملاحظة وقوة الذاكرة وسعة الخيال وعمق التفكير»[3].

ويعد إيمان الشاعر بخصيصة الصدق في تجربته الإبداعية منحى نقديا لا يهيم في متاهات القول أو في غلو الصورة أو في خرق المألوف. ولكن يتشبث بنهج إبداعي فيه صدق الرؤية وهو يلتمس عناصر الفن ومقومات التعبير، كما يتشبث بنهج سلوكي فيه صدق المشاعر وسمو العواطف.

---

(1) ديوان النبع الظامئ ضمن الأعمال الشعرية، ص 1/ 329.

(2) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار النشر العربية، القاهرة، ط 4، 1969، ص: 385.

(3) ن. م، ص: 388 .

إن عبد الله باشراحيل الشاعر بحقيقة الصدق يرنو في تجربته الإبداعية من خلال صدق الرؤية وصدق المشاعر إلى إحساس ذاتي وكوني يجعل من صادق الحب سبيلا إلى الاستمرار.

أنا قد أفنيت عمري والصبا

صادقا، أهواك في سري وجهري (1)

والشاعر عبد الله باشراحيل تربى منذ يفاعة إبداعه على هذا السلوك حريصا على الوفاء له مهما تعددت التجارب:

مهما شقيت به فالوجد يدفعني

إلى جديد أعانيه وأحياه

إني وفيت له عهدي وعاطفتي

والصدق في الحب أسماه وأحلاه (2)

ويتشبث الشاعر بالحب والصدق باعتبارهما متلازمين في الدلالة وفي السلوك إنجازا لشعور سام:

نحن للصدق و للحب بنا

شغف يبقى على طول الليالي (3)

ومثل هذا التلازم أتاح للشاعر تأسيس خطاب يستمد من ذاتيته مقومات السلوك في تجربته الإبداعية والحياتية:

---

(1) ديوان الهوى قدري ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 124.

(2) ديوان معذبتي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 32.

(3) ديوان الهوى قدري ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 137.

يـا زمـانـي أمـا مـنـحـتـك قـلـبـا

صـادق الـطـهـر مـلـهـم الإبـداع

وجـعـلـت الـوداد أهـلـي ومـالـي

والـمـروءات مـركـبـي وشـراعـي [1]

ومن ثم فالصدق عند الشاعر منهل إلى الخير، وفعل الخطاب فيه بالأمر ضرورة لإنجاز مقاصد الحق:

وانـهـل مـن الـخـيـر أكـوابـا مـطـهـرة

شـرابـهـا كـبـيـاض الـحـق وضَّـاء

وافـزع إلـى الـصـدق لا تـرضـى بـه بـدلا

والصدق في الحق تعلو فيه أسماء[2]

ويبدو أن حرص عبد الله باشراحيل على تمثل فروسية الصدق في أبعادها مقاربة نقدية لا يذهب فيها مذهب بعضهم في أن الشعر يحسَّن بالباطل أو مذهب من يرى أن الصدق هو نقل للحقيقة الأخلاقية على حالها، وإنما يلتمس من ضروب الصدق نوعين:

أولها: الصدق التصويري الذي يعتمد فيه الشاعر الصدق والوفق على تشبيهاته وصوره، مما يجعله يبتعد عن الغلو والمغالاة.

والثاني: الصدق الفني الذي يكشف المعاني المختلجة في

---

(1) ديوان النبع الظامي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 303.

(2) ديوان قناديل الريح، ص: 128.

النفس والتي يخلص الشاعر في التعبير عنها في تجربته الذاتية [1].

وتلمس عبد الله باشراحيل الصدق بين مشاعره ومواقفه يجعل تجربته الإنسانية تتمثل الحكمة .

ج ـ **الحكمة**، وهي مطلب أخلاقي في تجربة الشاعر، و«يقصد بالحكمة ما ينبغي أن ينجزه السلوك الإنساني من تحقيق السعادة المرجوة من العبرة الأخلاقية، مما يستفاد من التجربة الإنسانية التي تنظر إلى العلاقات وفق منظور أساسه الخبرة وممارسة العلم بالأمور، ونرى في ذلك بطولة جمالية وهي تستجلي رؤية الإنسان في تعامله مع ذاته وتفاعله مع غيره في سياق نستقرئ نتائجه من خلال ما يعترك في الحياة من مشاعر ومصاعب. ومن ثم فإن الحكمة إحساس بالوجود بالمعنى الغائي الذي يرسم ما يجب أن يكون عليه الإنسان في شتى مظاهره»[2].

وتوق عبد الله باشراحيل إلى الحكمة مرجعه إلى أمرين:

أولهما، تمرسه بتجاربه الحياتية من خلال سيرته العملية التي تحمل فيها مسؤوليات عديدة.

والثاني تمرسه بالإبداع الشعري الذي يخلص إلى غائية الحكمة التي تنير الفكر وتتوج المعرفة.

---

(1) أشار ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر إلى ضروب الصدق في الشعر. راجع في الموضوع: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 142 ـ 143.

(2) البطولة وتجلياتها في الشعرية الإماراتية، عبد الله بنصر العلوي، معد للطبع، ص: 122.

ويبدو أن مرجعية الشاعر كانت واعية بعلاقة الشعر بالحكمة، وهو ما يحدد غايتها الأخلاقية والتربوية التي تقر بالفضائل وضرورتها في تهذيب النفوس وتقويم السلوك. ولعل عبد الله باشراحيل يستحضر اهتمام فلاسفة الإسلام بمهمة الشعر، وكأني به يلتقي مع ابن سينا وابن رشد والفارابي في أن الشعر يقوم بتقويم النفس الإنسانية وتهذيبها وتوجيهها إلى الخير الذي يؤدي إلى السعادة [1].

وتتناثر الحكم في أشعار عبد الله باشراحيل التي يتوسل بها لإثراء تجربته الحياتية والإبداعية:

فارم الزمان بصبر لا تعاتبه
فالصبر أروع ما يرجوه صنديد
واجعل من الوعظ والقرآن تذكرة
للمؤمنين ففيها الهدي مقصود
واحكم بعقلك لا ترديك عاطفة
فالعاقل الحر محبوب ومسنود
واختر من الناس من تسمو بصحبته
فالخيِّر الشهم بين الناس منشود[2]

وتوسل الشاعر بالحث على فعل الفضيلة من خلال أفعال الأمر توجه إلى ضرورة التمسك بها لتحقيق السعادة. ومن ثم

---

(1) راجع في الموضوع: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ص: 146.

(2) ديوان معذبتي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 61.

يصبح التوكيد فعلا إيجابيا في إقرار المقاصد:

إن النفوس إذا شدت عزائمها
لسوف تبلغ ما تصبو وتنتصر[1]

وفي اهتمام الشاعر بحكمة الشعر طموح إلى الغد الأفضل:

خذ من الدنيا نصيبا طيبا
متع النفس بآمال غوال
اغنم العمر وأحسن قطفه
إنما الحاضر مفسوح المجال
دع جراح الأمس لا تحفل بها
وامض بالآمال في عزم الرجال[2]

لأن إحساس الشاعر بفضاء الحكمة كان تطلعا إلى فروسية شعرية تمثلت القيم لا باعتبارها أفكارا فلسفية، ولكن باعتبارها نهجا لسلوك إنساني راق.

د ـ **الفضيلة**، وهي مطلب الرؤية الشعرية التي تتغيًّا سلوكا فنيا وخلقيا، وما بينهما من تداخل يجعل الأنا «تتخلق» في إبداعها بحرصها على الكمال. وإذا كان الشعراء في أمداحهم خاصة يرومون الفضيلة باعتبارها تجسد الاستعداد الفطري لسلوك طريق الخير، فإن النقاد في تحليلاتهم النقدية يرومونها باعتبارها

---

(1) ديوان النبع الظامي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 294.

(2) ن. م. ص: 1/ 317 ـ 318.

مقصدا عربيا لجملة من الخصال المجسدة لفضائل نفسية تميز الإنسان في تحليه الإرادي بقواعد السلوك المعترف بقيمتها [1] .

والفضيلة عند الشاعر عبد الله باشراحيل ليست مجرد قيمة مدحية يسم بها الآخر الذي يعتز بخلقه فحسب، ولكنها قيمة سامية تختصر كل الصفات الأخلاقية لأنها تصبح حينئذ مجالا للقيم الإنسانية التي يعتز بها الشاعر والتي تتطلبها الجماعة. لذلك يحرص الشاعر على البحث عن الفضائل ليكون إبداعه الشعري مؤهلا لتجربة إنسانية تستمد من الدين والمعرفة بالذات. فقيم المجد استمدها الشاعر من الدين:

هيا إلى المجد ... شد الخطو مؤتزرا

بالدين، ارفع لصرح العلم بنيانا

المجد بالصبر تاج لا يضيعه

من يجعل الصعب سهلا حيثما كانا [2]

وفي نهل المعرفة تبنٍّ لغد أفضل تحلم به آمال الشباب لصيانة القيم:

والشباب الغض بالآمال يسري

ينهل العلم كؤوسا من معين

---

(1) راجع في الموضوع المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2/ 148 ـ 150 .

(2) ديوان الهوى قدري ضمن الأعمال الشعرية الكاملة، ص 1/ 111، 112.

هـمـم تـبـنـي ولـلأمـجـاد تـسـعـى
تـرتـجـي الـفـضـل مـن الـبـر الـمـعـيـن
مـن أضـاء الـعـزم فـي تـلـك الـنـوايـا
غـيـر رب الـنـاس ذي الـعـرش الـمـكـيـن [1]

كما أن الشاعر استمد تساؤلاته ومشاعره من ذاته:

إنـي رجـعـت إلـى قـلـبـي أسـائـلـه
عـن الـفـضـائـل فـي أزهـى مـعـانـيـهـا
أجـابـنـي مـجـهـدا والـعـبء يـثـقـلـه
هـون عـلـيـك فـهـذا بـعـض بـاقـيـهـا
يـا صـاحـبـي وركـاب الـبـيـن سـائـرة
سـيـكـتـب الـدهـر أبـيـاتـي ويـرويـهـا
فـالـنـبـل لا تـحـجـب الأسـتـار جـوهـره
والـشـمـس مـا مـن يـد لـلـنـاس تـخـفـيـهـا[2]

وإذا كان بحث عبد الله باشراحيل عن الفضائل سبيلا إلى سمو المقاصد الشعرية، فإن إحساس قلبه وتوجيه شعوره نحو إبداعه يعبر من خلالها عن فروسية شعرية تطلع إليها الشاعر ليقر بأن الشعر هو الفضيلة وبذلك سيخلده الدهر كتابة ورواية. ومتى وصل الشعر إلى هذا المستوى، فإنه يسمو بالفضائل والفضائل تسمو به.

---

(1) ديوان قناديل الريح، ص: 64.

(2) ديوان النبع الظامئ ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 286.

وعندما تتعدد قيم الفروسية في أشعار الشاعر، فهو لا يقصد حصرها وإنما التركيز على أعلاها مرتبة. وفي تركيزه على الحب والصدق والحكمة والفضيلة إرهاص لسلوك حضاري يقوِّم الحياة الإنسانية ويدعم أخلاقيتها.

خامسا ــ فروسية التواصل الشعري

المديح أصل في الشعر العربي[1]، إليه ينتمي الفخر والمدح والرثاء والغزل والوصف ... باعتبارها أغراضا مادحة للذات أو للآخر أو للمكان .. لأن مدحها تعبير عن موقف إعجاب وتقدير يتفاعل فيه الشاعر مع نفسه ومجتمعه وبلده. وفي هذا النهج كان الشعر العربي يلتمس إطار بيانيا قوامه الصدق والصراحة وإطارا خلقيا معدنه الخير والفضائل، وبذلك كان «للشاعر العربي حين ينشد قصيدة المدح موقف بطولة لا ينكر»[2] لأن «فحولة الشعر سرها في روح بطولة الشاعر ... وهي التي يصدر عنها البيان ذو الصدق والتأثير والوضوح»[3] وفي ذلك موقف فني يجعل المديح ديدن الفن والدربة ودأب المثال والقدوة ومجال النشوة والارتياح. ومن ثم كان المديح إحدى وسائل الدعوة إلى الخير والفضائل، سواء كان مجاله

(1) القصيدة المادحة، عبد الله الطيب، الخرطوم: 1973، ص: 8.
(2) ن.م، ص: 11.
(3) ن.م، ص: 13.

الفخر بالنفس أو مدح الآخر أو وصف المكان.

ولما كان عبد الله باشراحيل شاعرا يتلمس أصالة الشعرية العربية وينهج خطواتها السديدة ويستجلي دلالاتها العميقة، كانت أشعاره تجسد فروسية شعرية استوعبت التأصيل واستشرفت الآفاق من خلال خاصية التواصل التي رامت التداول بين الشاعر ونفسه ومحيطه، وكانت سبل الوعي فيه ملاذا لاستقراء كنه التجربة الإبداعية «الباشراحيلية» التي تسعى إلى إنجاز مقصدين:

أولهما، عمق التصور النقدي للحركة الشعرية العربية التي تتجسد في منطق القصيدة وتجلياتها الإبداعية .

والثاني، صدق الرؤية الإبداعية للذات الشاعرة التي استمدت معطياتها من منطق الفعل الشعري ومقوماته الفنية.

وفي كلا المقصدين تصبح الفروسية الشعرية عاملا لرصد سبل التواصل التي تتفاعل فيها الحوافز والمعطيات من خلال التماثل والتمايز لإقرار شعرية «باشراحيلية» أساسها التوحد بين تسامي الأنا وقدوة الآخر وجمالية المكان.

أ ـ تسامي الأنا:

تعتبر أنا الشاعر فاعلة في الإبداع، وفي بروزها إقرار بنبوغها وتطلع إلى فروسيتها، لأن الأنا عندما تبدع تستحضر تساميها عن التماثل وتشبثها بالتمايز، وفي ذلك وعي بفضيلة الشاعر ما دام يتخذ موقفا من الحياة والسبل الكفيلة لتحقيق

السعادة سواء بالرضى أو بالتحدي .

وعبد الله باشراحيل وهو يستحضر تسامي الشاعر يستحضر ذاته باعتباره فارسا يتطلع إلى البطولة، وباعتباره شاعرا يتطلع إلى القيم، وبالاعتبارين معا يصبح الفارس الشاعر وعيا بفروسية لا تبرز الذات في أنانيتها المرضية وإنما تعبر عن الجماعة في آمالها :

نفسي مطهرة الذيول من الخنى
أعظم بها نفسا تميط الذل عني
إن النفيس محجب بين الملا
ما هان جوهره على جحد وضن
للحب للود الجميل منازعي
ستردد الأجيال إن الحب لحني (1)

ويبدو أن حرص الشاعر على سلوك الأجيال لمنازعه امتداد لفروسية التواصل من خلال الحب وهو جوهر الفضائل. ومن ثم فالشاعر عندما يفتخر بنفسه أي بتساميه عن المثالب وتطلعه إلى الفضائل، إنما يفتخر بقيم «النحن» :

أنا شاعر يبغي الحياة ظليلة
بالحب والإيمان والإرشاد

---

(1) ديوان الخوف ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 464.

طبعي السماحة والحقيقة منطقي

من ذا يبدل فطرة الميلاد

أملي بلاد ليس فيها ناقم

يرتادها عطر الصباح النادي

أملي صديق ما تناكر وده

يوما ولا أخفت يداه جهادي

أملي إذا ناديت يا خلي الوفي

ألقاه مبلغ نجدتي ونجادي

إن أنا الشاعر وآماله تصبو إلى الترفع عن الدنايا، لذلك فإن نقد الشاعر لمظاهر التخلف في واقعه يبدو استجابة لإحساس عارم بمصير الإنسان ومصير الأمة إن حادت عن تمثل فروسية الشاعر:

آمالنا صارت تباع وتشترى

بالبخس لا تشفي أوارا أو قرى

حتى المهامه والجنادل والندى

حتى النسائم والبيادر والثرى

... أنحدث الدنيا عن الوهن الذي

أضحى يرود العمر رود القهقرى؟!

أنحدث العقل الذي يقفو إلى

درب يسيء وكل حق يزدرى ؟!

.. أنحدث الوجه الذي يعتادنا
بالغدر يسقينا لظى وتجبرا [1]

إن تواصل الشاعر مع إحساسه - بالرغم من مظاهر توحدهما - يبدو جليا في سياق التوافق بينهما، ولم يكن فخر الشاعر بأناه، كما لم يكن فخره بإحساسه سوى إدراك لحقيقة الشاعرية التي تتكثف رؤاها وتتكامل أبعادها. وليست مسيرتها الإبداعية حتمية في نشأتها من الخيال والتخييل فحسب، ولكن الواقع يمدها بصلة رحم يتوجها برحلة توغل في شعرية تشيد بصاحبها وتقوِّم ما تدنى من السلوك الإنساني. لذا فالشاعر عندما يصل إلى مدارج هذا الإحساس بهذا النوع من التواصل مع ذاته وآماله يصبح جديرا بمؤهلات تسامي أناه في سعيها إلى بناء لحظة شعرية ترتاد الكائن والممكن. والواقع والمتوقع ... وكأني بعبد الله باشراحيل يسخِّر أناه وذاته إلى تأمل الكون الشعري والحلول فيه متمنيا أن يكون هو السبيل المعبد إلى السعادة:

ليتني الحب في قلوب الحيارى
يدرأ الحزن عن شغاف القلوب
ليتني الزهر منظرا يتراءى
لعيون تقرحت .. بالنحيب
ليتني البدر في السماء منيرا
عتمة الليل في الفضاء الرحيب

---

(1) ديوان قناديل الريح، ص: 57.

ليتني الدوح والبلابل حولي
منشدات بروائع وطروب
ألمح السعد بالبشائر يغدو
ضاحك الثغر بالمنى للغيوب[1]

ولم يكن هذا الأمل إلا استشرافا لغد مشرق يسعد فيه الشاعر بسعادة الآخرين .

ب ـ قدوة الآخر:

إذا كان الشاعر يتواصل مع مشاعره وأحاسيسه فإن هذه المشاعر والأحاسيس ليست موجهة لذاتها، ولكنها تتضمن تعبيرا عن الآخر أي «النحن» مما يخلق تواصلا تتجسد معالمه في الشعور أو اللاشعور.

وإذا كانت رغبة الشاعر تفرض مقصد التسامي، فذلك لا يعني ممارسة الأنا لمكبوتاتها، ولكن تتعلق بالآخر باعتباره قدوة تحقق الفضائل وتحدد أنماط السلوك، وبين تسامي الشاعر وقدوة الآخر يصبح التواصل بين الفضيلتين إنجازا للنحن «التي تتوحد فيه المقاصد والغايات. وبذلك تكون الفروسية الشعرية في تشبثها بالفضيلتين سبيلا إلى الإشادة «بالنحن» بما للذات وللآخر من إنسانية التواصل المتجلية في خاصية المدح.

ويكاد يكون فن المدح أكثر فنون الشعر العربي إبداعا بما

---

(1) أصداء الصمت، الصدى الأول، ص: 193.

توفر لدى الشعراء من بواعث فنية أو نفعية استهدفت طاقتهم الإبداعية»[1]. وقد أتاحت هذه البواعث للقصيدة المادحة نقل عاطفة الإعجاب بسبب ما تثيره في النفس من انفعالات تبعث على نظم الشعر من جهة، وبما لها من صدق الشعر والإخلاص في التعبير عما يعتمل في خواطر الشعراء من جهة أخرى[2].

وبالرجوع إلى كتب اللغة يمكن التعرف إلى المعنى الأصلي لكلمة مدح، كما يمكن الرجوع إلى كتب النقد للتعرف إلى فن المدح بعناصره ومقوماته، فكتب اللغة ترى أن معنى المدح يدل على وصف محاسن بكلام جميل [3]، والمدح هو حسن الثناء[4]، والمدح هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدا [5]، والمدح هو الثناء على شخص بما فيه من الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية[6] .

---

(1) راجع كتابنا: أبو سالم العياشي الأديب المتصوف، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1419 / 1998، ص: 177 .

(2) فن المديح، أحمد أبو حاقة، دار الشروق، بيروت 1962، ص: 5.

(3) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت: 5/ 308.

(4) التعريفات، أبو الحسن الجرجاني، الدار التونسية للنشر، 1971، ص: 110.

(5) المصباح المنير، المقري الفيومي، تحقيق عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، مصر 1977، ص: 566.

(6) ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده، درويش الجندي، دار النهضة، مصر، 1970، ص: 80 ـ 81.

وبهذه المعاني جانست كلمة المدح كلمتي الحمد والشكر باعتبارها تختص بذكر الفضائل الإنسانية التي ترتكز على علاقة أساسها مشاعر يحرص الشاعر على منحها للآخر ممدوحا أو موصوفا، وما تلك المشاعر إلا القيم التي ترغب فيها الجماعة حين تقترن «بمعاينة الفضيلة وذكر للمحاسن وتمجيد للبطولة وتغن بالمآثر العظام»[1].

وإذا كانت هذه المقاصد تجسد الغاية الفنية المرغوب فيها من قبل الجماعة، فإن النقد درس هذه المقاصد وفق ما اتفق عليه أهل الألباب في أربعة خصال هي: العقل والشجاعة والعدل والعفة وما تندرج تحتها من صفات [2]. والواقع أن هذه الخصال ليست مجرد صفات مادحة يضفيها الشاعر على الآخر، بقدر ما هي صفات نابعة من صميم الحياة العربية الأصيلة ومميزة للشخصية العربية، لأن المدح ـ كما سبق القول ـ بسبب ما يحدثه من نشوة وارتياح يصبح من أجدى وسائل الدعوة إلى الخير والفضائل.

وفي حرص عبد الله باشراحيل على تمثل مقاصد المدح أو البحث عن قدوة الآخر لا من قبيل مجرد المدح بالشعر، ولكن حرصا منه على الإشادة بالقدوة التي تصنع الحس الأسري

---

(1) فن المديح، ص: 28.

(2) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى، 1963، ص: 69.

والوطني والإنساني عند الشاعر تكريما لها. وفي ذلك نسج لطريقة العرب التي كانت ـ كما يقول ابن رشيق ـ «لا تتكسب بالشعر وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاما لها»[1].

وكأني بالشاعر عبد الله باشراحيل يروم هذا النهج حيث يستوعب آفاق التجربة الإبداعية والنقدية فيوقع فكرة دالة على بصيرته الناقدة المبدعة: «كثير من مديح الشعر ليس للاستجداء، بل للاستعلاء»[2]. ولم يكن مقصد الاستعلاء إلا الترفع عن شعر لا يحمل الصدق ولا يدعو إلى الفضائل ولا يصبو إلى القدوة، ولا يعني الاستعلاء هنا تجاوز الآخر وتحدّيه، وإنما الحرص على «هتك حجاب البعد عن الممدوح للجلوس معه في مرتبة واحدة، يسره فيها الشاعر برأي الناس الحسن فيه»[3] ومن ثم فما أسميناه بتسامي الشاعر ليس إلا إحساسا بقدوة الآخر، لما بينهما من توازن المكانة في سمو القيم والفضائل.

وعندما نستقرئ أشعار عبد الله باشراحيل في سعيها إلى تجسيد سبل التواصل الأسري والوطني والإنساني، فإننا نهدف إلى تجلي القدوة التي تمنحه الأمن والسعادة. إن التواصل الأسري في أشعار باشراحيل ليس مظهرا لما تفرضه المناسبات

---

(1) العمدة ص: 1/ 80.

(2) توقيعات، ص: 75.

(3) التماسة عزاء بين الشعراء، عبد الله الطيب، ص: 151.

من مجاملات القول، بقدر ما هو تعبير عن خلق كريم في تعامل إنساني مع أفراد الأسرة يقر فيها بفضائل القول والتربية:

لا تدمعي عينا، ولا تبدي أسى
ففتاك تواق إلى التعليم
أنت التي ألهمتني ودفعتني
للخير للإبداع والتقويم
أرضعتني منذ الطفولة كلمة
ومحبة للصابر المظلوم
أرشدتني للدين أنهل ورده
والدين حصن للفتى المعصوم[1]

كما يحرص الشاعر على تقديم وصايا لتأسيس عش سعيد:

هذي فتاتك والعفاف رداؤها
تسمو به فوق النجوم مقاما
فاسلك بها بحر الحياة مؤيدا
بالحب، أسعد يا أخي الأياما
تلقاك بالحلم الجميل وترتقي
بك سلما وإلى العلا تتسامى [2]

ومثل هذا التواصل الأسري سلوك حميد في فروسية عبد الله باشراحيل الشعرية لإشاعة روح الإخاء والمودة، وللسعي إلى

---

(1) ديوان معذبتي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 48 ـ 49.
(2) ديوان الهوى قدري ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 127.

التمثل بالقدوة والارتقاء بها نحو الحس الوطني الذي يجلّي معالم الفضائل .

أما الحس الوطني فهو امتداد للفضائل التي يحرص الشاعر على تمثلها باعتبار مقومات فاعلة في علاقات شعرية تحقق المحبة ومشاعر الوفاء بين أفراد الوطن، وفي التحلي بهذه المقاصد صورة لسلوك القدوة وهو مجال يعكس تربية خلقية سامية يلتحم فيها الأفراد وتترسخ أسس التقدير للآخرين واحترامهم وتتأصل دعائم الفخر والاعتزاز بهم، وكأني بالشاعر لا يقصد بذلك المدح والثناء بقدر ما يتمثل معالم شخصيات فاعلة في وطنه وفي أخلاقه، وهذا يكبر من شأنه لما في حرصه على استجلاء فضائلهم والإقرار بمكارمهم من إحساس بعظيم مكانتهم والإيمان بمثاليتهم.

وعبد الله باشراحيل الفارس الشاعر يستبطن قدوة الآخر التي جسدت نزوعا إلى الكمال وإحساسا بالتقدير. ومن ثم لم يكن حضور «الملك عبد العزيز» في أشعاره إلا ظاهرة وطنية وإنسانية تحمل كل معاني السمو التي تتجسد في كل الملوك:

تستقبل الصحراء

أمجاد الوليدْ

تسترفد الأيام ماضيها التليدْ

ويطل من قبس الرؤى

عبد العزيز

وإذا البلاد جميعها

عبد العزيز

كل الشجاعة والفطانة والتقى

في وصفها

عبد العزيز

كل الأمانة والشهامة والنهى

قد سُمِّيَتْ

عبد العزيز

كل الكرام من الرجال فخارهم

عبد العزيز

كل الملوك بموطني عبد العزيز[1]

والملك عبد العزيز وهو يجسد ظاهرة في الذات العربية يكسب التاريخ نبعا ثرا للفضائل التي لا تسمو بالمدح ولا تعظم بالشكر ولا يقر لها بالحمد فحسب، ولكن يعتز بسلوكها الأخلاقي وبفروسيتها القديرة. ومن ثم كانت رؤية الشاعر عبد الله باشراحيل رؤية نافذة إلى عمق المشاعر، لا تروم وصفا ولا تكسبا، وإنما استجلاء لقدوة كبيرة تناسلت خصالها:

---

(1) قناديل الريح، ص: 28.

للندى للحب للإكرام ندعو
نتعالى عن ضلال ومجون
والندى والحب إيثار وغرس
يخصب الصحراء كالقطر الهتون
شرف الأوطان يستعلي ويقوى
بالرجال السمر حراس الحصون
... في زمان حرر الفكرَ وأعلى
قيمة الإنسان عن ذل مهين
قد تساوينا لدى الرحمن خلقا
مبدع الإنسان من ماء وطين
تتحامى فيك أنفاس الحيارى
فلأنت الغيث تهمي بالمزون
ولأنت الروض أزهار وورد
وشذاك الطيب من عطر الفتون
فانثر الحب فعين القوم تهفو
لأيادي الخير ما بين الحزون [1]

ولم تكن قدوة الملك عبد العزيز لدى الشاعر إلا نموذجا احتذاه **الملك فيصل والملك خالد والملك فهد والأمير عبد الله..** ففيهم تجسد قيم القدوة في تحقيق المحبة والعدل والتقى والنبل والمجد .. باعتبارها دلالات مادحة لا تتكرر من ملك إلى آخر،

(1) ديوان قناديل الريح، ص: 46، 47، 48.

بقدر ما تبلور السبل التي تمتدح الفضائل في كل الملوك، لذلك تشكل قصيدة عبد الله باشراحيل المعلقة «مئوية الحب» نسيجا لملحمة لا تؤرخ للتاريخ والأحداث، بل ترسخ الفضائل التي تحتمي بالفروسية الشعرية لتخليدها عبر الملوك وعبر الزمان والمكان .

وتتعدد وطنيات عبد الله باشراحيل وتتنوع مجالاتها وإسهاماتها في الحضارة العربية والإسلامية والإنسانية، رائده في ذلك إقرار الحب طريقا للبناء والشموخ وسبيلا إلى المجد والخلود. وهذا يجعل الشاعر فارسا في الوطنية التي ترتقي بأشعار متيمة وبقلب عاشق وبإحساس مرهف وبإيمان عميق وبآمال كلها حب وتأييد:

والمجد يا قائدي أقوى دعائمه

صدق الفعال وتصنيع وتجنيد

ما السبق ما العز إن خارت عزائمنا

ما العمر إن لم يكن فعل وتجديد ؟!

نسائم الود طافت فوق دارتنا

والشمل مجتمع، والخير مورود

وسعدنا اليوم أن الزهر مبتهج

وكل ما عندنا .. حب وتأييد[1]

---

(1) ديوان النبع الظامي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 192.

ولا يقتصر تلمس القدوة المادحة في الحس الأسري أو الوطني، بل تتجاوز إلى الحس العروبي، وهو وإن كان يتجسد في الحسين الأولين، فإن الشاعر فيه يمجد الإنسان العربي أمير الأخلاق الذي يضحي مدحه نموذجا لكل مديح يسمو بالفضائل:

قالت مدحت، لمن مديحك يرتجى؟
قلت الذي جعل المودة دابي
للماجد الشهم الخلوق وقد سما
بخلائق العظماء والأنساب
للباذر الحب الرفيع محله
ومكانه يربو على أسباب
للبشر في عينيه كل تأملي
وأنا بمدح علاه غير محاب[1]

والشاعر عندما يمدح أمير الأخلاق فهو يسمو برمز تشبثت به فروسيته الشعرية، بذلك يصبح المعادل الموضوعي مجالا لتطلعات الشاعر العربي للإمارة العربية التي تحقق فعل القدوة والسمو والمجد:

إيه يا شرقا غدت ساحاته
يستثير النقع فيها النقما
حسبنا الفرقة شلت عزمنا
ما رعينا الحق لا والرحما

---

(1) ديوان الخوف ضمن الأعمال الشعرية، ص: 474 ـ 475.

هل ترى المحنة فينا أيقظت
غفوة تبعث فينا الشمما؟
ربما عادت لنا أمجادنا
ذات يوم نتسامى ربما[1] !!

والشاعر في هذا الحس العروبي يستحضر فلسطين ولبنان وصبرا وشاتيلا ... باحثا عن أمل يتجدد:

سيعود يشرق في ربى أوطاننا
وجه من (الأقصى) يظلّ منضَّرا
تلك الرحاب (القدس) في أعماقنا
مسرى (النبي) ومن دعا أو كبرا
عربية العينين يا أرض السنا
سنعود تاريخا بهيجا أخضرا[2]

ويعبر ذلك عن موقف مناضل جهير بالصدق وصادح بالحق ومتحدٍّ طغاة العالم:

ماذا على الشرق نيران مكثفة
قد استباح بها الأعداء دنيانا؟
يستنجد العدل قلبٌ بات منفطرا
مما اعتراه فمن يصغي له الآنا؟..

---

(1) ديوان النبع الظامئ ضمن الأعمال الشعرية، ص 1/ 232.

(2) ديوان قناديل الريح، ص: 58.

قـوم الأبـاطـيـل مـا قـاسـت جـوانـبـهـم
عـمـق الـجـراح كـمـن قـاسـى ومـن عـانـى
كـأنـهـم أنـكـروا الأعـراف قـاطـبـة
وقـد بـدا عـدلـهـم زورا وبـهـتـانـا [1]

إن معاناة الشاعر عبد الله باشراحيل لهموم الواقع العربي واهتمامه بسبل البحث عن تجاوز العوائق الذاتية وتبني المؤهلات الحضارية يجعل منه بحدسه الشعري مفكرا يبحث عن طرق الخلاص، وما تشبثه بالفروسية الشعرية إلا دعامة للمأمول.

ج ـ جمالية المكان:

وهي تمثل عند الشاعر مقصدا شعريا يحمل دلالات فروسية التواصل التي تبرز كونا شعريا تتكثف فيه العلاقات بين الذات والآخر والمكان.. ولذلك لم يكن التوصيف مجرد أداة لإنجاز جمالية المكان بقدر ما كان وسيلة للتعبير عن مشاعر تسمو بالمكان ـ كما يرى باشلار ـ إلى إحساس إنساني يثري النص الأدبي بكثير من قيم الجمالية التي تمنح للمكان هويته الإنسانية وكيانه الجماعي[2]. إن المكان عند باشراحيل انتماء إلى الذات وإلى العقيدة وإلى العالم أجمع، إنه باختصار موقف يبلور جماليات القداسة والألفة والتجلي وهي جماليات تكشف عن رؤية

---

(1) ديوان النبع الظامي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 223.
(2) راجع في الموضوع: جمالية المكان، باشلار، ترجمة غالب هلسا، بغداد، 1983.

باشراحيل إلى أم القرى التي ينتمي إليها مولدا وإقامة، لذا تغنى بقدسيتها في العديد من القصائد.

وأم القرى لا تشكل مكانا نسيبيا مما تغنى به الشعراء في مقدمات قصائدهم الطللية، بل هي مكون شعري يستمد منه الشاعر طاقة إبداعية يلتمس منها الفضيلة ويقر بسمو شعره فيها:

موطني يا حبة الرمل الثمين
والنميرَ العذبَ في لون اللجين
والندى الضاحك في وجه الأماني
وسنا الإشراق في أحداق عيني
يا بلادي وقصيدي فيك يسمو
صادق البوح على الصمت الرهين
بلبل يا درة الأوطان يشدو
فيك ألحانا من الشعر المبين
يسهر الليل على أحلام صبح
ينشر الحب على القلب الحزين[1]

ويمتد نظر الشاعر إلى قيمة المكان الشعرية التي تسمو به كما يسمو الشعر فيها حيث يستوحي صورا للتآلف لا تحمل بعدا تاريخيا أو منظومة فكرية، ولكنها تفتح مجالا للتأمل من أجل تحقيق تواصل شعري بين شاعر يبحث عن تجليات الألفة ومكان يعكس مقومات القداسة.

---

(1) ديوان قناديل الريح، ص: 44.

إن مكانا مثل أم القرى في أشعار عبد الله باشراحيل يثير جماليات يتعدد فيها تماهي ذات تسبح ونور يُسكب وروح تشيع وأمن ينتشر ويقين يسري .. مما يجعل هذا المكان يشكل بؤرة الكون بما يحمله من أماني:

من بلاد تسكب النور جلالا
قد سرى في القلب في نبض الوتين
موطني أم القرى والبيت فيها
قبلة الناس على مر السنين
تقتري الفخر وكل الفخر منها
قبس الكون وأصداء القرون
كعبة الله ونجوى كل قلب
سبَّح الله وأعطى باليمين
مهبط الوحي وميثاق الغيارى
وانطلاق الروح من عصر سجين
موطن الآباء والأجداد قدما
وهي عمري ورجائي وحنيني
قدس الله ثراها وحباها
نعمة الأمن وميراث اليقين[1]

وهذه القداسة التي يحملها المكان تجعل شعرية باشراحيل تنفذ إلى القلوب فتجلّي جماليات تغمر المكان بالعديد من

(1) ن. م. ص: 44.

المشاعر الدالة بين أصالة مكان وأصدق وصف، وهي بذلك ليست مدحا أو تبجيلا بقدر ما هي سلوك سام يعلو بالفضائل:

مشعل الحق في يمينك يهدي
في الديباجير أعين الرواد
طبعك الحب والتسامح دوما
وكريم النهى ونبل المراد
فانعمي بالحيا عليك تهامى
وسقانا من رائعات الغوادي[1]

ولا شك أن تواصل المكان بالطبيعة يحتضن مشاعر إنسانية يتعاطاها الشعراء في قصائدهم الواصفة، والطبيعة ـ باعتبارها الوجه البديل لمشاعر الإنسان ـ حالة تكسب للمكان بعده النفسي بما تضفيه عليه من مثل وحلل. ومن خلال تشبثه بوصف المكان تضحي قصائده ذاتا تستشرف الطبيعة لتتجلى كما كانت ولتتجاوز إلى ما آلت إليه:

كان الربيع يلوح فيك منسقا
وغدا الأسى في جانبيك يزمجر
كانت زهورك بالندى فواحة
وإذا النوائب فوق أرضك تسجر
كانت تمدك بالجمال طبيعة
أغصانها كحسانها تتبختر

---

(1) ديوان النبع الظامي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 194.

فيها الفروع الدانيات ثمارها
مما يلذ وما يطيب ... ويؤثر
كم حار فيها عاشق متولِّه
يرنو إليها والمياه تثرثر
ما أنت نبع للجراح على المدى
بل أنت سحر في العوالم ينشر[1]

ولم يكن معجم الطبيعة في قصائد باشراحيل الواصفة ذا دلالات رومانسية أو تأملية، ولكن كان واقعا استحضر للتعبير عنه كل الأدوات الفاعلة في رصد مراميه. وذلك ما يجعل التجربة الباشراحيلية تتوسل بمشاعر الذات في واقعها دون أحلام في الرؤى أو غلو في الصور.

وبذلك تكون فروسية التواصل عند عبد الله باشراحيل من خلال تسامي الذات وقدوة الآخر وجمالية المكان تغنيا بكون شعري يتوهج الإبداع فيه لإغنائه بالتجدد والاستمرارية.

---

(1) ديوان النبع الظامي ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 236.

سادسا: فروسية الذاكرة الشعرية

إذا كان «الشعر إبداعا والإبداع تجربة والتجربة أنا»[1]، فإن الشعر يتنامى في عملية تتخذ من الذاكرة فضاء للإبداع في مساري الاستذكار والاستحضار، ويعني ذلك أن «ما من قصيدة إلا ولها ماض في حاضر، الماضي تجربة اشترك فيها الأنا وقامت على توترات عميقة، والحاضر نقل من القوة إلى الفعل للتجربة تلك من إطار ماضوية الحدث إلى حاضرية التوليف». وبذلك تكون الذاكرة باعتبارها إحدى مكونات التجربة الإبداعية مستوعبة للواقع ومستبطنة لتأثيراته ومبدعة له من جديد، إذ تقوم على أساس التذكر سواء في الوعي أو اللاوعي من خلال ما تمنحه من الماضي من حوافز وما تستقريه من الحاضر من معطيات، ومن ثم كان الاكتساب أحد السبل الفاعلة في الإبداع الشعري[2].

وتحليل الذاكرة الشعرية باستذكارها واستحضارها يكشف

---

(1) الشعر والتجربة محمد السرغيني، مجلة الوحدة، بيروت، ع 82 ـ 83، محرم/ صفر 1412، يوليوز 1991، ص. ص 127 ـ 139 .

(2) راجع مؤلفنا: الشعرية السعدية: الواقع والفكر والإبداع، م.س. ص: 334 .

سبل استجلاء المكونات الثقافية الفاعلة في القصيدة ـ باعتبارها تتضمن ذاكرة نسقية وأخرى تداولية والثالثة نمطية. وكلها تشكل في نظري مرجعية لفروسية الذاكرة الشعرية التي نتلمس بعض ملامحها في أشعار عبد الله باشراحيل.

أ ـ الذاكرة النسقية، ونعني بها المرجعية الفاعلة في الشعر، وهي تكوِّن خلفية يستمد منها الشاعر كل مقومات أشعاره. وإن أبرز مظاهر هذه الذاكرة النسقية يتمثل في الرؤية الدينية التي أتاحت حسا شعريا جامعا في أشعار الغزل والمدح والوصف ومناسبات القول. ولا يعني تراسب هذه الرؤية في أشعاره من منطلق الاقتباس أو التوليد أو النظر، بقدر ما يعني حضور الخلفية الدينية بمعجمها البياني في تجربته الإبداعية، وقد أشرنا من قبل إلى مقومات فروسية القيم التي استمدها الشاعر من العقيدة الإسلامية كالحب والصدق والحكمة والفضيلة، وإلى بعض مقومات فروسية التواصل كقدوة الآخر وقداسة المكان .

وهذا ما يجعل المعجم الشعري الباشراحيلي معجما أخلاقيا يتمثل الإنسانية في أعمق تجلياتها الحافلة بسلوك الإنسان الكامل وبالتواصل البشري وبالروح الساعية إلى السكينة والطمأنينة وبالتقويم الموضوعي لواقع مهيض يبحث عن الخلاص وهي تجليات كثيرا ما استلهم منها الشاعر أشعاره وتمثل رؤاها وضمَّن معانيها. ولعل تشبثه بهذا المعجم وقدراته البيانية هو ما جعل شعره يحقق سهولة في اللغة، أتاحت للمتلقي بفضل صوره

وإيقاعه انسجاما كبيرا وتجاوبا عميقا، لأن مطلب السهولة في تاريخ الشعر العربي مظهر من مظاهر الرقي الحضاري الذي عرفه الحجازيون كخفة اللفظ ووضوح المعنى وهما من صفات الجودة والحسن، فخفة اللفظ ـ وهي صفة حسية ـ تدل على عذوبة وقعه وخفة نطقه، أما وضوح المعنى ـ وهو صفة معنوية ـ فيدل على قرب المعنى وظهور مدلوله [1]. وفي حرص الشاعر عبد الله باشراحيل على مرجعية العقيدة البيانية للأمة العربية تحدٍّ لما ساد الشعر العربي المعاصر من تجاوزات في اللغة والمعاني أفسدت الشعر العربي بما ابتدعته المعاصرة من تعابير قلقة ومعاني مبهمة وصور غامضة، إنه موقف نقدي آخر نستوحيه من فروسية باشراحيل الشعرية.

ب ـ الذاكرة التداولية، وهي تكشف عن آليات فاعلة في القصيدة تحدد مواقف لها دلالاتها التاريخية والثقافية والمعرفية[2]. ومن بين هذه الآليات تداول أعلام الشعراء خاصة باعتبارها تحمل تداعيات في القصيدة الباشراحيلية، وفي ورود أعلام الشعر العربي ضمن نسيجها الشعري موقف تداولي يحقق أمرين:

أولهما: يعبر عن مرجعية شعرية لا شك في تأثيراتها في الذاكرة الشعرية .

---

(1) راجع: المصطلح النقدي في «نقد الشعر» ص 187 ـ 188.

(2) تتردد أعلام بشرية وحضارية في أشعار عبد الله باشراحيل وهي تعكس مرجعيته المعرفية وتمثله لأبعادها الإنسانية.

والثاني، يثير حضورها في التجربة الشعرية إشكاليات التأصيل والتساؤل.

لذلك كان تداول بعض أعلام الشعر العربي كعنترة العبسي وابن حجر وحسان وبشار وأبي الطيب يحمل تداعيات شعرية لا تعبر عن جوهر إبداعهم أو تماثل مع معطياته، وإنما تعبر عن تواصل حضاري يصون القصيدة العربية:

والعصر يقرأ للدنيا صحائفها
عرائس الشعر هذا بعض تذكار
ما شابها من قديم الدهر شائبة
عند ابن حجر وحسان وبشار[1]

ولعل حضور أبي الطيب بتجاربه الإنسانية استجلاء للذات العربية في واقعها المتردي وقد استمد منها الشاعر فروسية الأنا وفروسية الإبداع وفروسية الموقف ليعيد للذاكرة المجد العربي:

ففروسية الأنا شعور بالآمال والطموح:

أروح مع الصافنات الجياد
فعمري سباق
مع الأمنيات
أرود العلا[2]

---

(1) ديوان الخوف ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 422.

(2) قناديل الريح، ص: 88.

وفروسية **الإبداع** تذكر بمجد ماضي الشعرية العربية:

... فكم ذا يساقي كؤوس القريض

وينشد ألحانه في الدروب

يشيد مباني القصيد

زمان يريد

ولسنا نريد [1]

وفروسية **الموقف** تأمل في واقع مهيض:

أبا الطيب

كل أغاريدنا دمعة

تجف وتحفر أخدود دمع جديد

وكيف نجالد كيف؟

وكل الجروح

دماء ... صديد [2]

ويبدو أن استبطان تجربة أبي الطيب تجسد تفاعلا في الماضي والحاضر ... يصبح الشعر والواقع فيها في تجربة عبد الله باشراحيل الشعرية مثيرة للتساؤل:

فأين من النصر ماض تليد

---

(1) ن. م. ص: 88.

(2) ن.م. ص: 129.

وكيف سنفتح نصرا جديد

ونرفع رايات عهد مجيد

فماذا نريد ؟

وأين أريد ؟

وكيف نريد ؟! [1]

وأما **الذاكرة النمطية**، ونعنى بها مظاهر التراسب الفنية، أي ما يستبطنه النص الأدبي من محاكاة للآثار السابقة عليه أو الإحالة إليها سواء أكان التمثيل بوعي أم بلا وعي، مما يخلق امتدادا إبداعيا عبر آفاق زمنية وثقافية تتيح للآثار تفاعلا بين عناصرها ومقوماتها وتواصلا بين أركانها وصورها. ومثل هذا الامتداد سبيل إلى مشروعية التأثر والتأثير باعتبارها أصلا فاعلا في سيرورة الإبداع، إذ يتولد بعضه من بعض وتتواتر نماذجه ومعالمه من خلال عناصر التجاور والانتقال والتكرار والاستمرار:

فتجاور النصوص الأدبية يطرح إمكانية حوار داخلي/ خارجي يتطلع فيه الشاعر إلى تزاوج إبداعي بين نص غائب وآخر حاضر، يسعى كلاهما إلى الكشف عن إبداعية النص التي تروم حداثة السياق.

والانتقال من الإرهاص إلى الإبداع يقوم أساساً على سبل التحول من أغوار الذاكرة إلى أبعاد النص عبر مسافة التوتر التي

---

(1) ن. م. ص: 133.

تجسد ما بينهما من وشائج، بدونها لا يحقق النص رؤيته.

وإذا كان التكرار جوهر الإبداع فالنص يتضمن ماضيه وحاضره ومستقبله في إطار حَلَقي موسوم بالاستبطان والاستشراف، مما يؤلف شبكة من العلائق غير متناهية ينسجها التكرار.

أما طابع الاستمرار فهو ظاهرة تحقق للنص الأدبي توقا نحو نبوءة الإيحاء التي تصنع حوافز الإبداع.

وهذه العناصر تتداخل فيما بينها، ما دام الأثر الأدبي يبحث في عمقه عن هويته بشتى وسائل التواصل[1].

وقد تمثلت قصائد عبد الله باشراحيل عناصر التراسب ليس باعتبارها مجالا للمعارضة أو للتضمين أو للنظر أو التماثل ...ولكن باعتبارها أحد مكونات الإبداع الشعري سواء تم ذلك في الشعور أو اللاشعور، إذ إن النص مهما كانت فاعليته ليس مغلقا، لأنه يكشف عن شبكة من العلاقات لا تكاد تستبين فيها أصول الإبداع التي تظل غائبة أو غائرة في أعماق الذاكرة، إذ من الصعب تتبع الذاكرة وهي تبدع، ما دام كنهها لا يدرك، وما دام الشاعر يتمرد عن المألوف والموجود.

---

(1) منها التناص والتداعي والمرجع والأنموذج ... وهي تتقاطع مع التراسب في أكثر من وجه. راجع مؤلفنا الشعرية السعدية: الواقع والفكر والإبداع. م. س. ص: 191.

ومع ذلك فمتلقي القصيدة الباشراحيلية يدرك مدى ثقافة الشاعر ومدى تداخل عمليتي الاستذكار والاستحضار سواء تمت في الدلالات أو في الأوزان أو في القوافي التي ترسَّم الشاعر مقاصدها عن وعي أو دون وعي.

وإذا كان من الصعب تتبع مظاهر الإبداع والاتباع في الشعرية العربية، فإن المتلقي - وهو يواجه الإبداع الشعري - يبحث في ذاكرته عن نمطية مقارنة في بعديها المتقارب والمتباعد.

ولذلك فعندما نروم استجلاء بعض مظاهر التراسب في أشعار عبد الله باشراحيل إنما نستوجي مظاهر التواصل التي تنزع بالقصيدة الباشراحيلية إلى الاستلهام والتفرد بالقدر الذي يجعل مقاربة هذه العناصر غورا في ذاكرة شعرية ترتاد نمطية ما تستعصي على التحديد ... لأن الكون الشعري يحل في الشاعر وفي المتلقي. ونشير في هذا الصدد إلى حضور «مواكب» جبران واستكناه آلة الناي وما تحمله من أبعاد التأمل والتساؤل في الكون في قصيدة باشراحيل «لا تسافر»:

دارنا البيضاء أنس العاشقين
نرشف الآمال من حين لحين
نتهادى في سبات الحالمين
لمسة الشوق على مر السنين
فاترك الناي يداوي المغرمين
وتناثر في قلوب الهائمين

لا تغادر [1]

ورغم التباين بين شعرية جبران وشعرية باشراحيل، فإن الناي بدلالاته الرامزة يصبح دلالة نمطية تشيع في الشعرية العربية روح التواصل والاستمرارية .

وفي نفس السياق نشير إلى حضور موشح لعلي محمود طه واستلهام شعريته في قصيدة باشراحيل «نسيان»:

وتهادى بين أحلام المنى
ناشرا في رائع الأجواء عطره
أفلا تبكين مَن أمسى وقد
هدَّه الشوق وقد بلبل فكره
هل تناسيت حبيبا صادقا
طاهر الذيل ؟ وما أروع طهره
عاش للأحلام يبني عشه
ومع الأحلام قد ضيَّع عمره
فاذكريه واذكري ما قد مضى
رددي في مسمع الأيام ذكره[2]

وللنونيات في الشعر العربي تواجد إبداعي وشعري لما يحمله روي النون من غنَّة تنساب شاعريتها حققت نمطية شعرية تجلت عند عبد الله باشراحيل في قصيدته «النفيس» التي مطلعها:

---

(1) ديوان الخوف ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 454.

(2) ديوان الهوى قدري ضمن الأعمال الشعرية، ص: 1/ 90 ـ 91.

نوحي على قيثارة اللحن الأغن
ما عاد يشجيني ولا يشجيك فني

ويقول في حسن مقطعها:

للحب للود الجميل منازعي
سترددد الأجيال أن الحب لحني
لا تطرقي رأسا ولا تبكي أسى
يا نفس قد أبقيت للأحباب فني
وإذا تطاولت المزاعم إنني
لا شك يا دنياي قد أحسنت ظني[1]

إن مثل هذه النمطية الشعرية عند عبد الله باشراحيل هي جزء من مرجعية الذاكرة الشعرية الحافظة الواعية المطّلعة، تنساب منها شاعرية تحقق في تجربة الشاعر تدفقا شعريا متميزا لأن النمطية الشعرية هي تجدد باستمرار ولا يرتاد آفاقها إلا الشعراء الملهمون.

(1) ديوان الخوف ضمن الأعمال الشعرية، ص 1/ 462 ـ 464.

خـــاتمـــة

من خلال تتبعي للفروسية عند الشاعر عبد الله محمد صالح باشراحيل لمست القدرات الفنية التي يتوفر عليها والتي تنمو وتتطور. ويستبد بي إحساس يتجلى في كون الشاعر الفارس يبحث عن الفروسية ويتطلع إلى مقاصدها في الفن والسلوك. ومن ثم كانت قيم المحبة والسلم والمجد والفضيلة وغيرها قيما إنسانية استمدت معطياتها من إحساس شاعري تجلت معالمه في أدبيات عبد الله باشراحيل:

أ - دواوينه الشعرية: معذبتي، الهوى قدري، النبع الظامئ، الخوف، قناديل الريح، وحشة الروح .

ب - كتاباته: أصداء الصمت ؛ الصدى الأول، وتوقيعات.

ج - رسالته الحضارية إلى مثقفي أمريكا، قلائد الشمس .

وكلها تعكس فروسية شاعر وناقد وكاتب جدير بأن يأخذ مكانته في فن الإبداع والقول، وهو يتدرج في مراتب العلا

والإبداع، فكانت فروسيته تشهد له بشاعرية الإبداع وبنبل مقاصدها وكشف أسرارها:

أشرعت باب المستحيل فرحلتي
قمر يرافقني وداري كوكب
والريح مركبتي على متن الرؤى
لا تسألوا عني ولا تتعجّبوا
أنا ديمة الإلهام والفكر الذي
أيامه فتن تلوح وتغرب
أغرقت في سفن الجمال مشاعري
ورأيت أني للفتون محبب
إن الخرائد في غناء قصائدي
كشفت من الأسرار ما يتحجب[1]

ولعلني في إنجاز هذه المقاربة للفروسية الشعرية عند عبد الله باشراحيل قد حققت بعض تطلعاتي إلى إغناء آليات البحث في مفهوم الفروسية الشعرية التي أسعى إلى دراستها من خلال متون الشعرية العربية باعتبارها رؤية إبداعية متجددة .

---

(1) ديوان قناديل الريح، ص: 80.

المصادر والمراجع

(أ)

- أبو سالم العياشي المتصوف الأديب، عبد الله بنصر العلوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1419هـ - 1998م.
- أصداء الصمت ؛ الصدى الأول، عبد الله محمد صالح باشراحيل، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 2000.
- التماسة عزاء بين الشعراء، عبد الله الطيب، الدار السودانية، ط: 1، 1971.

(ب)

- البطولة وتجلياتها في الشعرية الإماراتية، عبد الله بنصر العلوي، مؤلف منجز، 1998 .
- البطولة في الشعر العربي، شوقي ضيف، سلسلة إقرأ، دار المعارف، مصر

(ت)

- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني

حتى القرن الثامن الهجري، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط: 2، 1978.
- التعريفات، أبو الحسن الجرجاني، الدار التونسية للنشر، 1971 .
- توقيعات، عبد الله محمد باشراحيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002 .

(ج)

- جمالية المكان، باشلار، ترجمة غالب هلسا، بغداد، 1983.
- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد القرشي، المطبعة الريحانية، القاهرة، 1926.

(خ)

- الخوف، عبد الله باشراحيل، ضمن الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003

(د)

- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، ط3، 1972.
- ديوان كعب بن زهير، دار صادر، بيروت.
- ديوان امرئ القيس، ضبطه مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1403 / 1983 .

(ش)

- شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- الشعرية السعدية: التفاعل بين الواقع والفكر والإبداع، عبد الله بنصر العلوي، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب فاس.1992 (قيد الطبع)

(ف)

- فن المديح، أحمد أبو حاقة، دار الشروق، بيروت، 1962.
- الفروسية العربية في العصر الجاهلي، سيد حنفي، سلسلة إقرأ، (211) دار المعارف، مصر، 1960 .
- في الأدبية المغربية، عبد الله بنصر العلوي، فاس، 2003.

(ق)

- القصيدة المادحة، عبد الله الطيب، الخرطوم، 1973 .
- القصيدة عند مهيار الديلمي، محمد الدناي، رسالة الجامعية، كلية الآداب فاس، 1980 (مرقونة).
- قلائد الشمس إلى مثقفي أمريكا، عبد الله محمد باشراحيل، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2002.
- قناديل الريح، عبد الله محمد باشراحيل، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2002.

(ظ)

- ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده، درويش الجندي، دار النهضة، مصر، 1970.

(ع)

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط: 4، 1972.

(م)

- مشكلة الحب، إبراهيم زكرياء، مكتبة مصر، ط 2، 1970.
- المصباح المنير، المقري الفيومي، تحقيق عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، مصر، 1977 .
- مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين، قضايا ونماذج، الشاهد البوشيخي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات القلم، باريس، ط 1، 1993.
- المصطلح النقدي في نقد الشعر، إدريس الناقوري، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1982.
- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- معذبتي، عبد الله محمد باشراحيل، ضمن الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003.

- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت .

(ن)

- النبع الظامئ، عبد الله باشراحيل، ضمن الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003.
- نظرية الشعر عند أبي العلاء بين التصور والإنجاز، محمد الدناي، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب فاس، 1999 (مرقونة).
- نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين (من الكندي حتى ابن رشد)، إلفت كمال الروبي، دار التنوير، بيروت، ط.1، 1983 .
- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار النشر العربية، القاهرة، ط 4، 1969.
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي ومكتبة المثنى، 1963 .

(هـ)

- الهوى قدري، عبد الله باشراحيل، ضمن الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003.

(و)

- وحشة الروح ،عبد الله محمد باشرحيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003.

المقـالات:

- البطولة الشعرية في أدب المغاربة، عبد الله بنصر العلوي مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد، دبي، س. 2، ع. 5، محرم 1415/ يونيو 1994
- شاعرية المتنبي، عبد الله الطيب، مجلة المناهل (المغرب)، ع: 13، السنة الخامسة، محرم 1399، دجنبر 1978
- الشعر والتجربة، محمد السرغيني، مجلة الوحدة، (بيروت)، ع 82 ـ 83، محرم / صفر 1412، يوليوز 1991، ص. ص 127 ـ 139 .
- مع أبي تمام الناقد، عبد الله الطيب، مجلة دراسات أدبية ولسانية، (المغرب) ع.4 ،1986.
- مكانة أبي تمام في الشعر العربي وشعرائه عبد الله الطيب، مجلة المناهل (المغرب) ع 12، شعبان 1398، يوليو 1978.
- المكون الميتاشعري في القصيدة الحديثة بالمغرب، محمد علوط، العلم الثقافي،(المغرب)، س: 26، بتاريخ 7 أكتوبر 1995.

فهـــرس المحتويـــات

الإهداء 5

المقدمة 7

المدخل: المصطلحات ومفاهيمها اللغوية والنقدية 11

- مفاهيم المصطلحات: الفحولة، البطولة، الفروسية 13

- الرؤية النقدية للفروسية الشعرية 18

أولا: سبل نظرية الشعر في الشعرية العربية 21

- نظرية الشعر لدى الفلاسفة 23

- نظرية الشعر لدى النقاد 25

- نظرية الشعر لدى الشعراء 28

ثانيا: مشروعية البحث في الفروسية الشعرية 43

- اهتمام خاص بدراسة الموضوع 45

- معطيات شخصية الشاعر 46

- بين فروسية الخيل وفروسية الشعر 48

ثالثا: فروسية الفن الشعري 53

- الشعر موهبة 55

- الشعر صناعة 59
- الشعر وظيفة (إنسانية، ذاتية، جمالية، كونية، نقدية، حضارية) 63
رابعا: فروسية القيم الشعرية 75
- الحب 78
- الصدق 83
- الحكمة 86
- الفضيلة 88
خامسا: فروسية التواصل الشعري 93
- تسامي الأنا 96
- قدوة الآخر (الحس الأسري، الحس الوطني، الحس الإنساني) 100
- جمالية المكان 111
سادسا: فروسية الذاكرة الشعرية 117
- الذاكرة النسقية 120
- الذاكرة التداولية (فروسية الأنا، فروسية الإبداع، فروسية الموقف) 121
- الذاكرة النمطية 124
خاتمة 129
المصادر والمراجع 133